رواية

بلو تاتش

لمسة زرقاء



مصطفى تقي

بلو تاتش

لمسة زرقاء

دار النشـــــــر: دار حروف الفارس للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب: بلو تاتش (لمسة زرقاء)
الــــكـــاتـــب: مصطفى تقي
رقم الطبعـــة: الأولى
تاريـخ الطبـع: 2025
رقـــم الإيـداع: 2025 – 34543
الترقيم الدولي: 978-633-8333-99-7

للمراسلة

MostafaTaky@gmail.com

إهداء

إلى زوجتي
حبيبة الروح ورفيقة الدرب
لكِ في قلبي موطنٌ لا يبلغه أحد غيرك،
وبدونك ما إكتمل هذا العمل،
ولا إكتمل حلمٌ كان يوماً بعيداً

إلى أولادي آدم و مهاب

أنتم الامتداد الذي أسأل الله ألا ينقطع،
وفي ملامحكم أرى ملامحي،
ومن ضحكاتكم تشرق أيامي.
أنتم الدافع الأول، والنور الذي يهدي الطريق
مهما اتّسع الظلام

مصطفى نقي

تنويه

جميع أحداث الرواية وأسماء الشخصيات من خيال المؤلف، ولا تمت للواقع بصلة. وأي تشابه بينها وبين الواقع محض صدفة، الرواية بالكامل لا تمثل توجه ديني أو عقائدي، هي فقط عمل أدبي مجرد، مبني في الأساس على فرضيه مستحيلة.

لذا وجب التنبيه

قال تعالى

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

الأية 85 من سورة الإسراء

عندما يصبح الموت هو الطريق الوحيد لإثبات البراءة.

تتجسد روح الانتقام، لم يكن موت جابر الأسيوطي نهاية، بل كان تصريح مرور إلى عالم آخر. عاد جابر منه ليس كشبح هائم كعادة العائدين، بل كـ كيان عاقل، قادماً لتفكيك شبكة الفساد بنفس أدواتها. ومهمته واضحة. إسقاط الذين أقاموا عرشهم على أنقاض حياته.

كيف يتحول جابر من طالب عدل إلى صانع جحيم، يسلب من الظالمين قيمتهم وحريتهم، ويحكم عليهم بأقسى عقاب

ولكن في اللحظة التي يكتمل فيها القصاص، وتُطرق مطرقة الحكم الأخيرة في عقل الظالم...

يكتشف جابر أن ضربة العدل كانت عنيفة لدرجة أنها كسرت الميزان.

هل يمكن للقصاص أن يعيد التوازن المفقود؟

أم أن اللمسة الزرقاء التي يتركها جابر خلفه هي بداية لقانون جديد،

لا يعترف بالرحمة... بل بالتوازن المطلق؟

المؤلف

هدوء يسبق الموت

حين وصل جابر إلى الفيلا، كان السكون جميلاً في البداية...

ذلك السكون الذي يشبه لحظة ما قبل العناق.

كلماتها في الرسالة، أحيته من جديد، بعد انتظار سنوات.

رفع الهاتف يعيد قراءة الرسالة:

- حبيبي نتيجة التحاليل طلعت، أنا حامل،

مترنش عليا مش ها ينفع تعتذر وتقول مشغول،

المرة دي مختلفة لازم تيجي، لو رنيت مش هرد،

عشان هنام، لازم تيجي اللية دي، ومستنيه منك هدية.

أخرج علبة من طبلوه السيارة فتحها، كانت هدية قيمة من الألماس.

وضعها في جيبه وانطلق نحو، باب الفيلا

عند المدخل، أستقبله عطرها المألوف...

لكن تحته كان هناك ظل خفيف لرائحة اخرى، وكأنها رائحة الطلاء. رائحة معدنية حادة.

أمسك العلبة يرفعها بفرحة، ونادى باسمها وهو يضحك

- عايدة... إنتي فين يا حبيبتي،

تعالي شوفي جبت لك إيه!

صعد درجتين، بخفة الطفل العائد للبيت.

كانت دقات قلبه تتسابق مع خطواته. ثم... توقف

وصل اليه صوت أنين مكتوم من خلف الباب المغلق.

بدأ يشعر بالتوتر صوت ضربات قلبه تعالت، فوق صوت الأنين

امتلاء قلبه بالرهبة،... وبصرخة خرجت منه همسا،

- عايدة...

أكمل الدرجات في حذر، دفع الباب ببطء، شبح الابتسامة ما زال على وجهه... لكن عيناه قد اغرورقت بالدموع

ثم جاءته اللطمة.

شيء معدني ثقيل ارتطم بصدغه، وانكسر الضوء في عينه.

لم يشعر بالسقوط، بل شعر بأن الأرض نفسها صعدت لتلطمه على وجهه، وسقط كل شيء مرة واحدة.

عايدة، الفرحة، الطفل المنتظر، والعالم من حوله.

— ✦ —

غشاوة

انقطعت الرؤيا ولم يبق سوى صوت من بعيد،
طقطقة نيران تلتهم الخشب، وصوت أنين عايدة، يتحول إلى صراخ بعيد، ورائحة للجدران المحترقة.
بعدها رائحة شعر محترق، حين امتدت النيران نحو ذراعي لم أستطع تحريكها في البداية، وحين فتحت عينيّ، كانت النار قد ابتلعت الغرفة، وتتسلّق الجدران كأفعى جائعة.
زحفت أجر نفسي بصعوبة، أنزلق جسدي على الدرج، يدي ووجهي قد نالت النيران منهما، لكني كنت أصرخ باسمها.
الحرارة تلسع وجهي، والسقف ينهار أمامي.
دفعت جسدي من وسط اللهب كما يولد الطفل من رحم يشتعل.
حين وصلت إلى الحديقة، كان الليل كله يصرخ.
صفارات الشرطة، ضوء أزرق يدور كعين شيطان،
والبرد يعض جسدي المحترق.
أنتبه أحدهم لخروجي من النيران، فجاء من يحملني على نقالة الإسعاف.
وقبل أن يُغلق باب السيارة، رأيتها واقفة عند البوابة.
ترتجف في زعر، وتشير نحوي أمام الجميع.

ثم سمعتها.

صوت امرأة أعرفه جيداً. إنها سهام صديقة زوجتي الوحيدة أشارت نحوي وصرخت.

- هو ده! هو اللي قتلها! هو اللي ولع في البيت!

الحقوها! عايدة بتولع جوه، جابر هو اللي قتلها.

سهام صديقتها. التي كانت تعرف كم أحبها... كم أعشقها

تجمدت للحظة. انطفأ كل شيء إلا نظراتي إليها.

كنت أعلم أن النار أنتهت من الجدران... وبدأت في داخلي أنا.

لماذا تكذب سهام؟ ومن فعل بنا هذا؟

— ✦ —

ميزان رامي

داخل قاعة محكمة الجنايات، وفي الجلسة الختامية كان الجو مشحون بالتوتر، ورطوبة الهواء تمنعه من الدخول الى الرئتين. بعد شهور من المرافعات.

القرار النهائي وشيك... وتحت شعار العدل أساس الملك ومجسم الميزان في يد العدالة العمياء،

يجلس في الوسط القاضي رامي أنور، وعلى كتفه الوشاح الأخضر، وكأنه يحمل عبء العدالة على كتفيه.

وداخل قفص الاتهام، كان جابر الأسيوطي متجرد من الأمل، صامت ومغلق على حزنه. أثار الحريق تبدوا واضحة على قلبه قبل جسده.

في مكان الشاهد، تجلس سهام الكاذبة، تستعرض ثقة زائفة.

جاسر الأسيوطي الأخ الأصغر لجابر، كان بين الحضور، يتابع وعلى وجهه ارتسمت علامات الحزن والآسي.

قطع الصمت صوت القاضي رامي أنور

- العدالة ليست مجرد نص قانوني نطبقه، بل هي وزن الكلمة. وزن الشهادة.

عندما يقف الإنسان أمام هذا الميزان، لا يجب أن يسأل نفسه ماذا سأقول؟

بل ماذا يجب علي أن أقول لأنام مرتاح الضمير؟

يرفع بصره ليُثبت عينيه على سهام،

- في هذه القضية، تتداخل الأدلة المادية مع الدوافع الشخصية. لقد استمعنا إلى تقارير الجنائي، وراقبنا انفعالات الشهود. رأينا الدخان، لكننا لم نكتشف النار الحقيقية. الظلم يبدأ حينما تستخدم الكلمة لا لإظهار الحقيقة، بل لسترها أو بيعها.

في قرارة رامي أنور كان قد تكونت قناعة.

أن الأدلة المقدمة غير كافية لإثبات إدانة جابر بشكل قاطع،

نطق بصوت الواثق من قراره

- بناءً على التناقضات الصارخة في إفادة الشاهدة الأساسية سهام، والغموض المفتعل في تقارير الأدلة الجنائية، واستنادًا لمبدأ أن الشك يفسر لمصلحة المتهم... تقرر المحكمة عدم إثبات الإدانة و...

في هذه اللحظة، وقبل أن يكمل القاضي حكمه، تنهار سهام مدعية كذباً أن جابر حدثها من داخل قفص الاتهام

- الحقني يا سعادة القاضي! بيهددني! قالي لما يطلع هيولع فيا زي ما ولع في عايدة! ده مجرم!

هذه الكذبة الأخيرة إعادة إدانة جابر أمام الرأي العام بما فيهم هيئة المحكمة.

وجعلت جابر يُدرك حقيقة الموقف، أن العدالة لن تنصفه وأن الجميع تآمروا ضده

— ✦ —

بعد المداولة وتحت تأثير الصراخ وبضغط من هيئة المستشارين، يضطر القاضي إلى إصدار حكم يرضي العامة، وينهي الجدل ربما ليس الإعدام. لكنه كان لجابر حكما بموت العدالة.

كانت الكلمات ثقيلة على القاضي رامي أنور، بالكاد قرائها خرجت من بين شفتيه ولم تمر على قلبه، وبصوت يائس متلعثم

- بناءً على، ... لصالح أمن المجتمع واستقراره، ... تقرر المحكمة بإجماع الآراء

السجن المؤبد لجابر الأسيوطي، قصاصاً لما اقترفت يداه...

كان رامي أنور في قرارة نفسه يعترف بالفشل في تحقيق العدالة بسبب قوة التآمر والكلمة الزائفة،

حينها أُدرك جابر أن عالمه الذي كان يحيا فيه قد انتهى.

ولحظة نطق الحكم هي اللحظة التي تحررت فيها روحه من سجن الجسد، ربما لاحقا يقول الطبيب في تقريره أن سبب الوفاة هو الموت قهرا...

لكنه لم يكن موتا لجابر، كان تحول من وعيه كإنسان محطم إلى وعي أخر أشبه بآلة الانتقام.

— ✦ —

من رحم الظلم يولد الانتقام

لم يمت جابر الأسيوطي فجأة،

بل كان موتا تدريجيا قاسيا، بدأ منذ اللحظة التي وُجهت إليه فيها تهمة قتل زوجته... واتهموه في شرفها قبل دمها

كان ذلك هو الشق الأول في جدار روحه.

أما الشقّ الأخير... فجاء عندما نطق القاضي بكلمة المؤبد.

في تلك اللحظة، بدا الهواء ثقيلاً، مشبعا بالكذب، فامتنعت رئتاه عن التنفس، لم يعد قلبه قادرًا على تحمل ثقل الظلم ...

خصوصًا ذلك الظلم الذي لم يأت من عدو، بل من أقرب الناس لزوجته، صديقتها سهام التي لمح جابر نظرة انتصار باردة تتبادلها مع محاميه فريد منصور، قبل أن يختنق صدره وينهار الجسد.

في قفص الاتهام، سقط جابر، وفي الخارج ماتت العدالة.

قال الطبيب سكتة قلبية... صدمة جعلت القلب يتوقف،

لكن العارف بباطن الأمر سيقول شيئا أخر،

ليست سكتة. بل كانت صرخة.

صرخة غضب مكتومة. انطلقت داخل جابر ولم تجد طريقا للخروج،

فانكسرت الروابط بين الروح والجسد.

كانت كلمة القاضي هي ضربة المطرقة الأخيرة... ليس على صدر جابر، بل على القيد الذي كان يشد روحه إلى بدنه.. فكسرته.

بدأ صوت القاعة يبتعد.

تحول الضجيج إلى صفير، والمكان إلى نفق ضيق، والوجوه إلى بقع بلا ملامح.

رفع جابر رأسه نحو نافذة عالية، كأنه يحاول اللحاق بآخر خيط من نور الشمس قبل أن يبتلعه الظلام.

كانت يده تبحث عن شيء... عن هواء... عن الحقيقة.

وحين غامت الرؤية، بقيت صورة واحدة واضحة لا تتشوه صورة عينان تلمعان بالشماتة... عينا سهام.

في تلك اللحظة، أدرك جابر أنه لم يخسر القضية.

لقد خسر عالمه كله في مؤامرة محكمة.

وتلك الصورة... كانت الشرارة التي رفضت أن تطفئها الظلمة، فصارت الوقود الأبدي لوعيه الذي رفض أن يموت.

— ✦ —

شرارة في الجسد البارد

تم نقل جسد جابر إلى المشرحة القريبة من المحكمة.

غرفة باردة، مُضاءة بضوء فلوريسنت أبيض يشبه روحا باهتة، يلقي بظلال مشوهة على أجساد ممددة. وضعوه على منضدة معدنية، ولفوه بقطعة قماش. ليالي كثيرة لم يعد يحصيها، ففي عالمه هذا لا يقاس الوقت بنفس حسابنا نحن.

كانت رائحة الفورمالين والمعدن البارد، تلسع ما تبقى من حواسه. شعر وعيه بأنه محبوس في تابوت من الجليد، عاجز عن الصراخ، لكنه يرفض التسليم. ظل الوعي بداخله، كامنا ومكثفا.

حقيقة مات الجسد، لكن الوعي رفض الموت،

صار كتلة من الطاقة الخام، تنتظر شرارة لتشتعل. كانت هذه المشرحة، بكل برودتها وقسوتها، هي مختبر إعادة الميلاد الميتافيزيقي لجابر. كان وعيه يرتفع، يلامس سقف الغرفة الباردة، ثم يعود ليصطدم بحدود الجسد البادئ في التحلل، في دورة من اليأس والرغبة.

— ✦ —

أنا هنا... لم أمت. الظلم لم يقتلني، بل أطلقني من القيود الجسدية.

أنا الآن حر، بلا قيد، ...

ولا جسد يخنقه الغدر.

هناك أياد تكاتفت لسلب حياتي وحياة عايدة،

وسرقة حلمي، وقتل ابني الذي لم يولد.

هناك وجوه يجب ألا تنام بسلام.

لكن كيف أعود؟

لن أرضى بالعدالة العمياء،

بل أريد القصاص المبصر.

وإن كان جسدي هذا قد انتهت قدرته ... فيجب أن أجد جسرا للعبور،

للخروج من هذا الجسد المتعفن.

مرت الساعات ثقيلة. كان الجسد ميتا، يتجمد من البرودة.

لكن الوعي بداخله كان حيا، يشتعل بالرغبة في الانتقام.

كانت طاقة وعيه المكبوتة قد تحركت نحو كفه الأيسر المحترق،

صانعة هالة خفية من الدفء.

في منتصف الليل، سمع صوت "مواء" خافت ومتقطع عند النافذة.

كان قط شارع هزيل، يدفعه الجوع والفضول،

تمكن من التسلل عبر فتحة تهوية مهملة.

كان القط أسود بلون الفحم، وبعينين تلمعان بخبرة حياة الشارع وذكائه.

رأى القط الجسد الممدد على المنضدة، ورأى شيئا آخر.

طاقة خفيفة تنبعث من كف جابر الأيسر، كأنها وعد ببعض الدفء في هذا البرد القارس.

تردد القط للحظات، توقف عند حافة المنضدة، يستشعر الخطر المحتمل والمجهول.

لكن غريزته الجائعة والمُتعبة قادته نحو مصدر الدفء الغريب، المنبعث من هذا الجسد، كأنه وعد بنوع من الأمان النسبي. رفع مخلبه الصغير بريبة، يمده نحو كف الجثة. وفي تلك اللحظة، استشعر جابر الحركة. عرف أن هذا هو أمله الأخير، إرادة منه للهرب، وإرادة من القط للوصول. كان عليه أن يركز حتى لا يحرق القط الصغير بضغط طاقة وعيه الهائلة.

— ✦ —

تعال... أيه القط. ألمس يدي... بإرادتك، فلتكن جسرًا لي.
لعودتي للحياة. أُريد أن أرى! أن أعرف!. أن أنتقم!
اجعل فضولك يخدم عدالتي. سأمنحك القوة والحماية مقابل جسدك هذا.

ركز جابر وعيه بالكامل نحو نقطة التلامس المنتظرة. كانت إرادته للهرب من هذا القبر البارد تتقابل مع إرادة القط للبحث عن الدفء والمأوى. حدث اللقاء. لمست مخالب القط المدببة جلد جابر البارد. لم يكن الأمر تيارًا كهربائيًا صاخبا، بل انزلاقا سلسا للوعي، كأن الروح انضغطت في ثقب إبرة ثم توسعت فجأة لتملأ جسدا جديدا. تخيل جابر للحظة أنه يرى جسده الميت من زاوية مختلفة، قبل أن تختفي طريقة رؤيته البشرية تماما.

كانت صدمة هائلة. لقد نجح الانتقال.

إحساس غريب، مزيجا من قوة الوعي وضعف الجسد الجديد.

فتح جابر عينيه، لكن الرؤية كانت مختلفة.

عريضة الزاوية، حادة ومركزة في الوسط، ضبابية قليلا في الأطراف، وقريبة جداً من الأرض. وكأن العالم فجأة أمتلأ بضوضاء من الروائح،

حيث أصبح يستطيع تمييز رائحة الخوف الكامنة في جدران المكان،

ورائحة الدم القديم،

ورائحة الصدأ على المنضدة المعدنية. شعر بحركة مرنة في ذيل لم يكن موجودًا قبل لحظة، وبفرو سميك يكسوه،

مرونة فائقة، ما منحه إحساساً غريباً بالخفة والحرية. لقد أصبح جابر قطا شاردا، ومحققا شبحيا ومنتقم فروي، يبدأ رحلته على أربع، انطلقا من منضدة تشريح الموتى.

قفز القط نحو النافذة، مشى متعرجا في الممر الضيق كظل أسود. كانت خطوته الأولى على الأسفلت البارد، بداية رحلة لا يعرف نهايتها،

لكنه عرف بدايتها بوضوح مؤلم.

ستكونين أنت البداية يا سهام... أنت أول الخيط. سأجدك.

الكلمة الكاذبة التي نطقتي بها ستقتلك، وسيكون صوت موائي هو آخر ما تسمعين.

وسأعرف منك. من دبر لنا تلك المكيدة. الآن سأستخدم هذه العيون لأرى كل خفاياكم، وبهذا الجسد سأدخل بيوتكم واحدا واحد.

— ✦ —

ظهور العلامة

في الخارج أمام المشرحة كان الليل باردا،
ضوء نيون الأزرق، ورائحة الفورمالين مازالت تلاحقه. أسرع ليقطع الطريق في خفة لما يجربها بشرا من قبل،
لا وجود لتسارع دقات القلب ولا لهاث، فقط طاقة عالية تكاد تنفجر، وقدرة على الركض غير محدود، وحواس مفرطة.
كان قد أبتعد عن المشرحة بشكل كاف لكن المكان من حوله أصبح أكثر ازدحاما وأقل أمان.
أضواء السيارات المسرعة، ونباح الكلاب التي تلاحقه، أربكته شعر بالرغبة الملحة في الانزواء والاختباء، وبصوت "مواء" خشن خرج من فمه. لقد أدرك أن ذاكرته وخبرته البشرية أصبحت سجينة في دماغ حيواني صغير.
جوع مفاجئ يضرب جانبيه، ورغبة ملحة في نبش النفايات بجانب حاويات القمامة، على جانبي الأرصفة.
في البعيد يرى جابر بعين القط رجل عجوز يدخن سيجارته وينظر للسماء. وبجانبه كان هناك بقايا طعام، يقترب منه فيرى في وجهه ملامح الرحمة، فيمد يده بمخالب القط ناحية الطعام.

وإذا بصفعةَ تلقي به بعيدا، وصوت العجوز ينهره بخشونة،

- ابعدي عن أكلي يا بنت الـ.... !

يتراجع جابر بقوة وقد أدرك أنه لا يمكنه الاعتماد بشكل كامل على هذا الجسد، فبرغم حيوية القط في البداية لكن، سرعان ما خارت قواه، وزادت رغباته الحيوانية، وطغت فطرته على رغبة جابر

— ✦ —

انزوى القط جابر، بجانب الباب الخارجي، لإحدى البنايات، يراقب حارس الأمن الليلي ويخشى من عقاب مماثل، كما فعل معه العجوز. لكن الحارس كان قد رأى في عيني القط شعوراً بالخوف والانكسار.

أقترب الحارس منه ببطء وحين مد يده ليمسح على رأس القط بشفقة، لمح جابر بعين القط، ضوء الأزرق خافت حول أصابع الحارس،

وكأنها نافذة صغيرة، يمكن للوعي أن يعبر منها.

دعوة منه للانتقال، ركز جابر كل إرادته في الانتقال وحين مد القط مخلبه ليلامس أصابع الحارس، انضغط وعيه في لحظة، كأن روحة تمر عبر ثقب المفتاح. أهتز الهواء من حولهما كتموج ماءٍ خفيف، في بركة راكدة

وقبل أن تتلاشى رؤيته بمنظور القط، كان يشعر بنفسه كطاقة تسري عبر ذراع الحارس قبل أن تتمدد وتستقر في الجسد الجديد.

وعلى ذراع الحارس بدأ خط أزرق متعرج بالظهور،

يمتد ببطء، كأن شرارة كهربائية تسري تحت جلده،

لم يشعر الحارس بشيء سوى دوار خفيف، وبوخزة في يده وحين فتح عينيه بعد لحظة الدوار، نظر إلى باطن ذراعه فرأى خطًا

متعرجًا أزرق اللون، كأنه وشم حديث،

يتحرك بخفة تحت الجلد، ثم يهدأ.

كانت تلك هي العلامة

وهذه العلامة ستبقى...

ما دام جابر داخل الجسد.

كان الجسد ضعيفاً هزيلاً لكنه، أحسن حالاً من جسد القطة

— ✦ —

انتهى الليل البارد، وامتدت أشعة الشمس تعلن صباحا جديد، أكثر دفاء، حارس الأمن يغادر بعد نوبته الطويلة، يضع خوذته على رأسه ويقود دراجته المتهالكة عبر الشارع الرئيسي.

وفي إحدى التقاطعات، كان سائق تاكسي قادم بسرعة، كاد يصدم قطة صغيرة تقطع الطريق، لكنه أنتبه لها فشد المكبح، ومال بالمقود يمينا، من خلفه كادت دراجة حارس الأمن تصطدم به قبل أن يتفاده بمهارة، في اللحظة الأخيرة.

نزل سائق التاكسي من سيارته وحمل القطة الصغيرة وأبعدها عن نهر الطريق، لحظة صمت قصيرة، ثم ابتسامة.

يمد الحارس يده في الهواء، يلوح للسائق

- برافو عليك يا معلم!

السائق يضحك، يمد يده ليصافحه في حركة عفوية.

الأصابع تتلامس... لحظة قصيرة جدًا. لكنها كافية.

الهواء من حولهما يهتز كتموج ماء خفيف،

وعلى ذراع السائق يبدأ خط أزرق متعرج بالظهور،

يتمدد ببطء، كأن شرارة كهرباء تسري تحت جلده، ثم يخبو الضوء.

السائق لا يشعر بشيء سوى صداع خفيف، لكنه يلتقط أنفاسه بصوتٍ آخر، صوت جابر.

في المرآة يرى وجهه، لكن عيناه تعكسان ضوءًا أزرق غريبا.

وصوت داخلي يقول في نفسه،

الآن أصبحت قادرا على التحرك بحرية، واستكشاف العالم من جديد، لتحديد الهدف الأول ...

سهام.

— ✦ —

قانون المرور

لعدة أيام كان جابر يستكشف قدراته، ومدى تأثيره على جسد المضيف، هناك عدة أمور أصبحت واضحة جلية،

الوعي لا يقتل من يسكنه. هذه هي القاعدة الأولى.

وكأنه آخر ما تبقى من عدالة الأرض.

ولا يستطيع التحكم بكامل الجسد لمدة طويلة، فقط دقيقتان حتى الآن ربما مع التدريب يستطيع مد فترة التحكم.

بعدها تتفلت قدرته على التحكم، كما يتفلت الماء من القبضة، يعود وعي المضيف وكأنه كان في غفوة. تلك هي القاعدة الثانية

ولكي يعاود السيطرة يحتاج لوقت أطول وكأنه يشحن طاقته من جديد.

كان قادراً على زرع الأفكار. توجيه العين لنظرة خاطفة، وأحيانا الحديث بصوته، صوت جابر.

تلك هي قدراته التي اكتشفها.

كان قراره الذي يراه عادل أن يقوم بتحريك الخيوط. يكشف المستور. ويترك العدالة تظهر من الداخل... ليس مهماً كم يمر من الوقت، فالشعور بالوقت أصبح نسبيا، المهم هو تأكيد الإدانة.

وعند التأكد يتم تطبيق العدالة، ستكون الأحكام، نهائية بقرارات أصحابها، بخياناتهم، بخوفهم، أو بذنب حاولوا طمسه طويلًا.

وهكذا يبدأ القصاص، ليس بيد القاتل...بل بيد الحقيقة نفسها.

— ✦ —

داخل الدائرة

كان السائق قد أنهى مشواره، وتوقّف أمام مقر الجريدة لينزل منه أحد الصحفيين... زميل سهام.

فتح الباب وهو يبتسم، يلوح لها عبر زجاج الواجهة.

ثم يعود ينظر الى سائق التاكسي، ينحني يمد يده يشكر السائق على سرعة التوصيل...

مصافحة عادية. بسيطة، بلا نية،

بلا أي معنى... لكنها كانت كل شيء.

في اللحظة التي التقى فيها الكفان، انضغط العالم في نقطة واحدة.

ثم انفتح.

لم ير أحد ما حدث. لكن جابر رآه.

خط أزرق، رفيع كلسعة برق، شق طريقه من باطن معصم الصحفي حتى منتصف ساعده.

تلوى قبل أن يستقر كالوشم،

والأمر قد كان... انتقل.

وتنفس.

— ✦ —

داخل الجريدة يتحرك الصحفي بخطوات ثابتة. لم يشعر أنه مختلف... لكنه كان يسير بظل أخر غير ظله.

كانت سهام أمام مكتبها، غارقة في شاشة الحاسوب، تكتب مقالة جديدة عن ملف فساد... تكتب بثقة. ببرود.

بيد ثابتة لم ترتجف يوما وهي تدفعه للهاوية.

وقف خلفها، يتابعها. لم تلتفت، لم تحس بشيء.

لكن جابر أحسّ...

كان يسمع نبضها، يقرأ ارتجافة بين أصابعها لا يلتقطها بشر.

مع نهاية اليوم حملت حقيبتها، وخرجت.

وهو يتبعها كباقي الأيام. لا شك. لا ارتياب.

جابر كان يتعلم كيف يعيش في ظلال الآخرين.

عندما انحنى ليساعدها في وضع ملفاتها في المقعد الخلفي، ابتسمت له بودٍ وشكرته وامتدت يدها تلقائيا. لم تكن سوى ثانية... لمسة أصابع بأصابع... لكن الزمن توقف فيها.

علامة جديدة اشتعلت على يدها،

كانت أوضح، أعمق، كأنها ترسم تحت الجلد نفسه.

كضربة برق زرقاء متوهجة، حادة كحافة سكين.

شعرت سهام بدوار بسيط ما لبث أن اختفى

لكن جابر لم يختفِ، انتقل.

وسهام الآن تحمل داخلها ما لم تدركه بعد

البداية الحقيقية للقصاص.

— ✦ —

بداية العدالة

في منزلها كانت سهام متحررة لأبعد الحدود، كانت أكثر خسة. أكثر مما ينبغي، حتى جابر وهو في حالته تلك، اشمأز منها أيما اشمئزاز.

بدأ جابر في التأثير عليها، جعلها تواجه ذكرياتها ومخاوفها. زرع فكرة صغيرة في عقلها،

- اللي تخون صاحبة عمرها، تستحق الموت...

ثم وهي تتصفح الهاتف تغيب لحظات،

بفعل جابر.

يتحرك جابر متحكما بجسدها، نحو المرآة،

تمسك بقلم الروج، وبخط لا يشبه خطها كتبت،

- بعد موت جابر وعايدة، دورك جاي يا سهام.

كانت دقيقة واحدة كافية، ليعود بجسدها، كما كانت بنفس الوضعية أرتجف جسدها وكأنها كانت في غفوة، أو هكذا شعرت.

في صباح اليوم التالي حين واجهت المرآة، تفاجأت بالمكتوب، شعرت بالخوف الشديد وهرعت تمسك بالهاتف.

لم يكن جابر يحتاج أكثر من هذا، فمن ستحدثه هو الضلع الثاني في دائرة الانتقام، كان الأمر كما توقع جابر بالضبط.

حين أمسكت الهاتف، اتصلت بشخص يعرفه عين المعرفة.

المحامي الكبير الذي يمسك قضايا شركة جابر، وكان محامي الدفع الخاص به يوم رحيله

خرج صوت سهام بعصبية مرتعشة

- فريد الحقني في حد بيهددني
- إهدي يا سهام، وقوليلي مين ده؟
- معرفش بس في حد دخل شقتي وكاتب لي على المرايا... كاتب، بعد موت جابر وعايدة الدور عليا أنا
- أنت مجنونة، محدش ممكن يعمل كده، أساساً القضية اتقفلت، ومحدش أتكلم في الموضوع ده تاني
- أنا خايفة يكون حد من أهله عرف وعاوز ينتقم مني
- ضحك بسخرية، أهل مين بس يا سهام، متقلاقيش أنا هاكلم حسام ونعمل اللازم،
- أنا لو وقعت مش هاقع لوحدي، أنت وحسام اللي قولتولي أعمل كده وانتوا هتحموني منه
- أنت بتهدديني يا سهام، بلاش أنا...

أنت عارفة لو حسام سمعك ممكن يعمل فيكي إيه.

وعلى العموم شقتك هتبقى تحت الحراسة الفترة اللي جاية

لحد ما نعرف مين عمل كده

انهت المكالمة،

وصدر الحكم عليها بالإدانة،

كان جابر قد التقط طرفين أخرين، الأول فريد منصور المحامي، والثاني هو حسام، لا يعرفه الآن، ولكن سيعرفه حتما في مقابلة فريد.

لم يشعر بالغضب، بل شعر بالارتواء، وكأنه أخيرا قد ابتل ريقه بعد جفاف، فهو الآن يمشي على الطريق الصحيح.

—✦—

بعد أن أنهت مكالمتها كانت العلامة الزرقاء في يدها، تتوهج أكثر، نظرت إليها، مسحتها بيدها الأخرى ولم تهتم.

عادت متوترة إلى الهاتف وطلبت رقما أخر،

كان رقم مسجل باسم علاء، لم تخبره بما حدث فقط دعته للحضور

- علاء عاوزه أشوفك الليلة ضروري،

محتاجة أقعد معاك شوية، ماتتأخرش

بعد عدة ساعات لم يحسبهم جابر كان قد جاء علاء إليها،

كان جابر قد أكتفى من جسدها، وجوده بداخلها يشعره بالغثيان، بمجرد أن وصل علاء كان جابر على أتم الاستعداد للمغادرة منها إليه، لم تكن لمسه، ولم مصافحة،

كان خروج جابر تلك المرة في عناق،

خروج صاخب، لكنه لم يغفل عن ترك الأثر، توقيع جابر، شرارة من الطاقة الخام تسري في جسد علاء حتى استقرت في موضعها المعتاد، أعلى الرسغ وكأنها تستعد للرحيل القادم،

كان جابر قد قرر ألا يتركهما ينعمان طويلا، فتحرك كمدرب كرة اليد واستخدم حقه في دقيقة وقت مستقطع.

بمنتهى الهدوء سيطر على وعي علاء، وسألها قبل أن يلتفت لها بصوت جابر

- هو مين حسام ده بالظبط؟ اسمه ايه بالكامل؟

ارتسم على وجها الرعب كله عندما سمعت صوتا تعرفه جيداً، صوت جابر،

تجمدت رعباً أمام علاء الذي تغيرت نظرته لها إلى برودة قاتل. قالت مستنكرة وكأنها لا تعرفه.

- ده صوت جابر؟ أزاي جابر مات! أنت مين؟

تغيرت فجأة نظرة علاء إلى الغضب، ومسكها من شعرها بيد، وبيده الأخرى أعتصر جانبي فمها وهو يريد لها الصمت الأبدي بعد ما فعلته بكلامها.

كان جابر يعرف أن حسام هذا هو أحد المدبرين، فهم ذلك من المكالمة الأولى، لكنه أراد اعترافًا كاملاً.

انهارت سهام تمامًا، كادت تموت بيده، أفلت يده من حول فكها لتستطيع الكلام، أخذت تبكي بعنف وهي تشير إلى هاتفها

- والله العظيم ما أعرف. أنا...

أنا بس عارفه أنه ضابط كبير هو وفريد اللي قالوا لي أقول كده.. سامحني يا جابر أنا مليش ذنب يا جابر.

إغلاق فم الكذب

لم يمنح جابر في جسد علاء، سهام فرصة للصراخ. تحرك الوعي المنتقم بخطوات حاسمة، وبقوة جسد علاء الشاب. لم تكن حركة عنيفة عشوائية، بل كانت عملية إغلاق مُتقنة وباردة. في غضون ثوانٍ معدودة، كان علاء قد أنهى حياة سهام بطريقة بشعة ومباشرة، لا تحمل أي توقيع عاطفي، بل توقيع النية المطلقة للتخلص من الخيط الأول في المؤامرة. بعد أن تأكد جابر من صمت سهام الأبدي، تحرك نحو المرآة وكتب بالدم

- بعد سهام، فريد وحسام

ثم ترك لعلاء حرية التصرف بنفس السرعة والهدوء الذي أخذها منه، فلم تكن قد مرت الدقيقتين بعد.

تاركا جسد الشاب ينهار على الأرض بجوار صديقته الميتة.

وعندما عاد لعلاء وعيه،

كانت سهام مسجاه في دمائها. ويداه مخضبة بالدماء،

وذاكرته فارغة تماما من اللحظات الأخيرة.

صدمة هائلة اجتاحته؛ كان يصرخ بهستيريا، غير مصدق لما تراه عيناه. يضم سهام لصدره، ثم يدفعها باشمئزاز، يبكي ويعاود الصراخ، لم يقوى على الوقوف أو الابتعاد...

القاتل البريء

وصل العقيد حاتم عوني، رئيس المباحث، إلى مسرح الجريمة بعد ساعات قليلة.

حاتم، رجل أربعيني يمتلك نظرة حادة وخبرة طويلة في التعامل مع الدوافع البشرية المعقدة، كان يعتقد أنه رأى كل شيء. لكن هذا المشهد كان يختلف.

كانت الشقة صغيرة، والجريمة قاسية.

سهام سعيد، في أواخر الثلاثينات من عمرها، تعمل صحفية في جريدة واسعة الانتشار. كانت شهرتها المهنية محدودة، لكنها اكتسبت شهرة واسعة على مستوى الرأي العام بسبب دورها المحوري في قضية جابر الأسيوطي، قضية الرأي العام، منذ شهور

وجدت مقتولة. وأداة الجريمة المستخدمة كانت بسيطة وعشوائية، أداة حادة من أدواتها الشخصية... مبرد أظافر!

لكن التنفيذ كان بالغ العنف وبلا رحمة.

ما أثار حيرة حاتم عوني، هو وجود المنفذ جوار الجثة.

لم يحاول الفرار أو إخفاء جريمته، أو حتى مسح الدماء التي لطخت وجهه ويداه، فمازالت الدماء تغطي جسده

علاء شفيق المعروف في الوسط الصحفي بـ هدوئه الشديد واتزانه.

والذي لم يكن يوماً شخصية مثيرة للجدل أو معروفة بالعنف.

وصديق سهام المقرب، الذي تربطه بها علاقة عاطفية غير رسمية لكنها واضحة ومتبادلة.

كان الجميع يعرف مدى قربه إليها وراعيته لها.

أصبح الآن أداة نهايتها.

كان جالسا في زاوية الغرفة في حالة من الإنكار التام والهلع. لم يحاول علاء الهرب، ولم يحاول التبرير، بل كان يبكي، يرتجف ويهمس

- أنا لم أفعل هذا... أنا لم أفعل شيئًا، لا أدري من فعل هذا.

حاتم بهدوء صارم، موجهاً سؤاله إلى الملازم أول الذي يرافقه إيه

- اللي حصل بالضبط يا بهاء

الملازم بهاء

- يا فندم، الجيران سمعوا صوت صراخ القاتل نفسه.

اللي هو علاء الصحفي، وبلغوا ولما جينا، كان موجود جوه

الشقة. والكلام ده مكتوبة على المرايا بالروج والدم، وهو لقيناه مصدوم بالشكل ده. كل الدلائل المادية بتشير إليه.

- مفيش أي كسر في الباب، ومفيش أي دليل على دخول طرف تالت.

حاتم ينظر إلى علاء مطولاً، ملاحظاً حالة الإنكار المطلق في عينيه

- طيب... خده على القسم. أنا هتكلم معاه بنفسي.

— ✦ —

في غرفة التحقيق، بدأت الحيرة تسيطر على حاتم. علاء لم يكن يمثل دورا. كان يتحدث بصدق مؤلم عن فقدانه للذاكرة في لحظة الجريمة.

حاتم يتكئ للأمام، بنبرة خفيفة ومحايدة

- بص يا علاء، كل الدلائل بتقول إنك أنت اللي قتلتها. المبرد عليه بصماتك. وأنت اللي كنت في الشقة لوحدك معاها. إيه كان الدافع؟ ...

خلاف على إيه؟ فلوس؟ علاقة؟

علاء بصوت يائس ومُختنق

- دافع إيه يا فندم؟ سهام دي كنت صاحبتي! دي حبيبتي. أنا كنت الشغل طلبتي قالت عاوزه تتكلم معايا، وجيت أطمن عليها، لقيتها منهاره، كانت بتستنجد بيا، بتقول إن في حد بيهددها، بعدها... بعدها كل حاجة اتمسحت! وهي بتكلمني، حسيت بتقل في جسمي ونعس شديد وبعدين مش فاكر حاجة، غبت عن الوعي لحظات، فقت لقيت سهام... ميتة. أنا ما قتلتهش! مش فاكر أي حاجة، معرفش مين اللي عمل كده !

حاتم يسجل الملاحظات على دفتره، وشعور غريب ينمو بداخله

- مين اللي كاتب الكلام اللي على المرايا ياعلاء
- والله العظيم ما أعرف، كل اللي حصل أنا قولته. أنا بقول الحقيقة! أنا ما عنديش دافع لقتلها! سهام دي ...

دي حبيبتي، وأنا مش ممكن أعمل حاجة بالبشاعة دي!

أنهى حاتم التحقيق وشعر أن شيئًا ما خطأ بشكل ما.

كان علاء إما كاذباً سيئاً جدًا لا يجيد التلفيق،

أو صادقاً لكن صدقه يكسر حاجز المنطق البشري.

القاتل هنا، وكذلك أداة الجريمة والدليل عليه قاطع،

ومع ذلك يرى حاتم أنه بريء بلا أدنى شك!

كان هذا التناقض يهدد كل ما تعلمه حاتم عن الجريمة ودوافع النفس البشرية.

تذكر حاتم حالة وحيدة تناقلتها الأوساط الأمنية، عن شخصا ما قام بالتأثير على أخر عن طريق التنويم المغناطيسي أو ما شابه،

وجعله يقوم بالقتل وسط ذهول الجميع،

كان حاتم يعرف طبيب مشهور له علاقة بتفسير مثل هذه الأمور،

ودار بينهم سابقاً عدة نقاشات في تفسير مثل هذه القضايا،

نظر حاتم إلى الرائد بهاء وقال

- الموضوع ده مش جريمة قتل عادية يا بهاء. علاء مش مجنون، وده مش اضطراب نفسي. ده شيء خارج المعادلة. علاء صادق، لكن ايده هي التي قتلت. كأن جسده كان أداة لشخص تاني. شخص ليه دافع، شخص كان بيستخدمه للانتقام مثلا.

الأمر تجاوز قدراتي. لازم أشوف د. فؤاد الجبالي.

اتخذ حاتم قراره الصعب. ضحى بسمعته كضابط عقلاني صارم، واتصل بالدكتور فؤاد، عالم النفس المعروف بعمق تحليله، لكنه هذه المرة لم يتصل به من أجل تحليل نفسي عادي، بل ليواجه معه أول لغز وجودي في سلسلة الانتقام الشبحية.

حاتم عبر الهاتف، بنبرة متوترة

- دكتور فؤاد؟ ... أنا العقيد حاتم عوني...

أنا تمام الحمد لله، وأنت أزيك عامل إيه...

محتاج أقابلك ضروري... عندي حالة... مش هينفع الكلام في التليفون... الموضوع ده لازم تشوفه بنفسك.

بعد إنهاء المكالمة، نظر حاتم إلى بهاء وهمس

- احنا محتاجين نفهم مين اللي يقدر يسيطر على شاب برئ ويخليه يقتل بالوحشية دي وبدم بارد...

غموض في مكتب حاتم

كان الجو متوترا، أضاءة المكتب النيون الباردة، وأصوات المكيف الخافتة، والأوراق مبعثرة، وحاتم يحكي لفؤاد عن القضية وكأنها يروي حلم سيئ.

لغته ازدواج بين الواقعية البوليسية والقلق الميتافيزيقي.

- دكتور، الجريمة دي مش ماشية على قواعدنا... الجاني بينكر بصدق، والضحية كانت كأنها عارفة إن النهاية قربت، اتصلت بحبيها تودعه قبل ما تموت.

عندما طلب د. فؤاد رؤية المتهم تم تجهيز، زنزانة خاصة.

تم وضع علاء ممدا على سرير وتوصيل عدة اسلاك لقياس نبضات المخ والقلب قبل ان يبدأ د. فؤاد التحقيق بأسلوبه العلمي، كان تركيزه بجانب القياسات على الأجهزة، على لغة الجسد. حركة العينين، تردد التنفس.

بعد ساعات من الاستجواب، والانكارالصادق المقنع

فجأة يتغير صوت علاء ويبدأ في السؤال عن الضابط حسام؟ ثم يقول

- سهام كان لازم تموت، وكل اللي أتسبب في موت مراتي وإبني هيموت.

ثم يعود لبرائته وأصراره وصدقه

- أنا مقتلتهاش أنا مش فاكر حاجة، سهام دي حبيبتي.

اللحظة دي بتكون أول توصيف ميتافيزيقي.

ليدرك د. فؤاد أن علاء ليس كاذبا، لكن وراه وعي آخر.

في نهاية التحقيق أوصى دكتور فؤاد الجبالي بتوصية غريبة

- هاتوا يوسف زهران... يمكن ده أول واحد يشوف القاتل اللي ما حدش قادر يشوفه.

— ✦ —

أهلاً يوسف

في أحد المكتبات العامة الواسعة ذات إضاءة هادئة، ورائحة أوراق قديمة. حيث أقترح يوسف أن يكون مكان المقابلة.

جلس د. فؤاد الجبالي متوتر داخليًا، يحاول إخفاء حيرته المهنية وراء هدوء مصطنع.

أمامه كان يوسف زهران يبدو أكثر استقرارا وهدوء، لكن عيناه تعكسان عمقا فلسفيا حذرا، وكأنه يراقب العالم من خلف ستار من الفلسفة.

تبدأ الأجواء ودية، كوبان من القهوة على الطاولة الزجاجية

د. فؤاد بابتسامة أبوية

- مبروك يا يوسف. دكتوراه في الفلسفة الوجودية.

ده نجاح كبير وفي مدة صغير. أعتقد أنك كده تجاوزت كل الاضطرابات القديمة.

يوسف بهدوء وهو يلعب بحافة كوب القهوة

- الشفا يا دكتور فؤاد مش مجرد تجاوز... الشفا هو إنك تعترف أن اللي شفته كان حقيقي.

الفلسفة ساعدتني على تصنيف اللي عشته.

أنا كنت على حافة خندق الوعي، بين العالم المادي وعالم الأثير، بين المرئي والغيبي.

فؤاد يهز رأسه بإعجاب

دايما كلامك عميق يا يوسف. المرئي والغيبي... لخصت سنوات من العلاج في جملة، لكن... قول لي... سيف لسه موجود؟

يوسف يبتسم بجانب وجهه

- سيف... جزء مني يا دكتور. لكن مبقاش بيسختبي في ضلي،

خليني يا دكتور اقولها لك بشكل بسيط، الجسم زي العربية، وأنت بتختار تكون قائد تسوق وتتحكم، أو تستسلم لوعي آخر سواق بديل ...

سواء كان شخصية أنت خلقتها، شخصيتك في الماضي، أو ممكن كيان دخيل.

فؤاد يتكئ إلى الأمام، يبدو الاهتمام جديا على ملامحه

- وده بالظبط اللي أنا عاوز أتكلم معاك فيه.

أنت الوحيد يا يوسف اللي ممكن يفهم طبيعة اللغز.

يوسف بنظرة حادة

الظاهر إن عندك مريض تاني بيعاني من نفس حالتي، أتفضل يا دكتور.. أنا مستعد اسماع أي شيء يتجاوز علم النفس.

فؤاد يسحب ملفا سميكا ويضعه أما يوسف على غلافه مكتوب قضية مقتل سهام - المتهم علاء

- القضية رسمياً هي جريمة قتل واضحة. لكن الدافع مفقود، والتناقض مرعب. المتهم... شاب بريء. لكن ايده هي نفذت القتل.

يوسف يقلب الصفحات سريعاً، يتوقف عند صور مسرح الجريمة وعبارتان مكتوبتان على المرآة بالروج والدم، الأولى بالروج.

- بعد موت جابر وعايدة، دورك جاي يا سهام

والثانية بالدم.

- بعد سهام فريد وحسام...

مين كل دول جابر وعايدة وفريد وحسام؟

فؤاد

- قصة قديمة، رجل أعمال اتحكم عليه بالمؤبد بتهمة قتل زوجته وحرق بيته،

وكانت سهام الضحية في قضيتنا دي، هي شاهد الإثبات

الوحيد في قضية جابر،

المهم إن جابر مات في المحكمة بعد نطق الحكم على طول.

يوسف يرفع نظره ببطء، وفي عينه ارتباك.

- يعني جابر مات، وسهام أتقتلت على إيد صاحبها!

اللي بينكر القتل، الدم على ايده وبصماته على سلاح الجريمة. وفيه رسالة تهديد على المرايا تربطها بشهادتها في قضية قديمة.

هو ده اللي خلاك تكلمني؟

- لا يا يوسف. كلمتك عشان التسجيل ده.

فؤاد يفتح جهاز تسجيل صغير، يناول السماعات إلى يوسف. كان التسجيل لاستجواب علاء، حين يتغير صوت علاء فجأة إلى صوت غليظ وعميق، وهو يقول.

- سهام كان لازم تموت، وكل اللي أتسبب في موت مراتي وإبني هيموت

ثم يعود علاء لصوته اليائس

- أنا مقتلتهاش أنا مش فاكر حاجة

يوسف ينزع السماعات ببطء، وجهه شاحب.

صوتان في جسم واحد، ده مش اضطراب هوية... ده وعي دخيل، لكن مختلف...

فؤاد بهدوء

- الجريمة في منتهى البشاعة، رقبة الضحية كانت مكسورة بعنف وعشرات الطعنات في الوجه والرقبة بمبرد أظافر.

الطب الشرعي، أكد أن الطعنات تمت بسرعة جدا في أقل من دقيقة وكأنه كان بيسابق الزمن.

- ده بيأكد أن الدفاع هو الانتقام.

- صح، الغريب، أننا اكتشفنا شيئاً مشترك بين الجاني، والمجني عليها الوشم ده.

فؤاد يسحب صورة مكبرة لساعد علاء، يظهر عليها خط أزرق متعرج، وصورة أخرى لساعد سهام عليها نفس الخط تقريبا

- العلامة دي مش مرسومة بأي حبر معروف، وكمان ملهاش أي أثر كيميائي، وكأنها طيف مرأي فقط.

وعلاء بينكر معرفته بيها.

بيقول أنها مكانتش موجودة على أيده قبل كده

يوسف يمد يده نحو الصورة، يرتعش قليلاً

- أنا شايف... انها مش وشم دي طاقة . وكأن الوعي بيسيب توقيع مادي على الجسم. زي بصمة كهربائية.
- بص يا يوسف أنا والعقيد حاتم. محتاجينك معانا. عشان نفهم، ... مين اللي عمل كده؟ وإزاي نوقفه؟

يوسف ينظر إلى العلامة الزرقاء طويلاً، ثم يبتسم.

- الفلسفة الوجودية بتقول إن الإنسان مدان بالحرية.

لكن الكيان ده ... يفرض وجوده على حرية الآخرين.

الموضوع مش مجرم هيتقبض عليه يا دكتور فؤاد.

يوسف يغلق الملف، ويضع كفه على الصورة، وعيناه تلمعان بلمعة فهم عميق.

- أحنا قدام نظرية وجودية بتشرع الانتقام المطلق، حتى بعد الموت. أنت وحاتم وأنا معاكم عاوزين نعطلها.

على العموم أنا جاهز،... فين العقيد حاتم؟ وأمتى هنبدأ

— ✦ —

صياد في الظل

في مكتب العقيد حاتم عوني في مديرية الأمن كانت الساعة تقترب من الحادية عشر مساءً

حينما بدأ اجتماع الطوارئ وتحديد الأهداف، كان حاتم يضع على الطاولة خريطة بسيطة، تربط بين جابر وسهام وعلاء. إلى جانبها، صور من مسرح الجريمة

وتقارير المكالمات الهاتفية الأخيرة لسهام.

وأسم فريد منصور المحامي

حاتم عوني يضرب بيده على الطاولة

- لنفترض أن الشيء ده حقيقي. أو الكيان زي ما يوسف بيقول، اتنقل لـ علاء. وسيطر عليه ونفذ الجريمة. دلوقتي علاء محجوز. وده يعني أن الكيان محجوز معاه. ودي فرصة نخلص منه، حتى لو كان الثمن قتل علاء نفسه.

فؤاد الجبالي

- المنطق مش سليم. يعني إيه نقتل أنسان بريء؟ وإيه يضمن أننا هنخلص من الكيان بموت علاء؟

- هو رسم لنا خريطة الطريق. في رسايلة الصريحة بيقول كل اللي أتسبب في موت مراتي وإبني هيموت. وبعدين كاتب بدم الضحية، بعد سهام فريد وحسام، وفي مكالماتها الأخيرة، سهام اتصلت بشخصين أساسيين، فريد منصور المحامي، والتاني كان علاء شفيق. يعني اللعب على المكشوف، أحنا نحاول نسبقه بخطوة ونأمن الضحية المحتمل

يوسف زهران ينظر إلى الخريطة بهدوء

- المسألة مش مجرد أشخاص.

فيه ترتيب منطقي للأسماء. سهام كانت هي البداية. هو بدأ بأول الخيط، لو قولنا إنها كانت سبب في موته هو... نتيجة شهادتها في المحكمة،

ايه علاقتها بموت مراته وأبنه؟

ده معناه أنها كانت ضلع في مؤامرة،

وكونه بدأ بيها ممكن يكون لسببين الأول تكون شهادتها الزور لتوريطه في القتل. وده الاحتمال الأقوى،

والثاني إنها تكون هي اللي الجاني الحقيقي في قضية موت مراته. وده احتمال ضعيف.

يبدأ الفريق في تحليل من يجب أن يعاقب ثانياً. حاتم بحماس

- فريد منصور كان بيدافع عن جابر في القضية الأخيرة، وبالبحث الجنائي في دائرة معارف فريد المقربين لقينا اسم حسام غانم وده ضابط سابق في الأمن. واحتمال كبير يكون هو الهدف المقصود؟

يوسف يرفع عينيه، يحك ذقنه متعمقاً

- جابر مات مقهور من احساسه بالظلم.

واللي يقدر يظلم، لازم يملك القوة

القوة التي استخدمت لإدانته وتوجيه التحقيق كانت قوة الضابط حسام. وإذا كان جابر بدأ بسهام الشاهدة، فالضابط المنفذ لازم يكون هو الهدف الثاني.

فؤاد

- أتفق معاك في تحليلك، بنسبة كبيرة الضابط حسام هو الهدف الثاني.

لكن لازم نمشي بالتوازي ومنسيبش مجال للشك،

حاتم

- لازم نتحرى عنه فوراً. وفي نفس الوقت نأمنه ونأمن فريد.

يوسف

- أنا محتاج أشوف علاء وأتكلم معاه.

حاتم يفكر ثم يضغط زر فيدخل الحارس.

- علاء موجود في زنزانة، تحت المراقبة 24 ساعة، أنا هخليك تشوفه حالاً

يوسف في سره دون أن يسمعه أحد

- مش مهم نوع المراقبة إيه، المهم نعرف إزاي بيتحكم في علاء؟

— ✦ —

استفزاز الكيان

الجو البارد والإضاءة الخافتة والحوائط الرمادية تزيد من كأبة الغرفة المحتجز بها علاء.

جسده لا زال مرتبطا بأسلاك أجهزة القياس، الخاصة بـ د. فؤاد.

يوسف يدخل أولا يتبعه د. فؤاد

بمجرد الدخول شعر يوسف بتواجد شخص أخر غير علاء.

دار بنظره في ارجاء الغرفة، لم يراه، ولكن شعر به،

وبنبرة هادئة لكنها تخترق الصمت.

- جابر. أنا عارف إنك موجود هنا، سامعني يا جابر، ...

أنا عارف أنك بتدور على العدالة وعاوز تنفذها بإيدك. لكن هو من العدالة إنك تسيطر على جسم علاء، اللي ملوش ذنب في مصيبتك!

مين اداك الحق في استخدام ايد بريئة لتنفيذ أحكامك؟

ممكن تكون قتلت المذنب من وجهة نظرك،

لكنك بتقتل حرية علاء، بتحوله لأداة للقتل.

جسد علاء ينتفض فجأة. يبدو علي وجهه علامات الاشمئزاز ممزوجة بالألم، يرتفع جسده ببطء ليجلس على السرير وكأن يدا

خفية تجبره على الجلوس. حين نظر إلى يوسف تغيرت عيناه، أصبحت تلمع ببرود قاتل تحت ضوء الغرفة الخافت...

وبصوت غليظ لا يتناسب مع نحافة جسد علاء.

- أنت مين؟ شكلك مش ضابط، ...

قلوبهم السودة متخليهمش يشوفوا العدالة ولا يتكلموا عنها.

وبعدين أنت بتتكلم عن الحرية؟

كانت فين الحرية لما مراتي اتحرقت؟

كانت فين العدالة لما إبني مات قبل ما يتولد؟ كل اللي شارك في قتلهم، هيتقتل... مفيش رحمة

جابر يشير بإصبع علاء إلى صدره

- مين اللي قالك ان ده بريء؟

العدالة العمياء مش عادلة

الانتقام عينيه مفتوحة، وميزانه مش بيغلط.

وأنا محولتش علاء أداة للقتل، أنا استخدمته ايد للانتقام؟

لاحظ يوسف أن انفعالات جابر كانت بقوة مفرطة في البداية، لكنه بدأ يضعف تدريجيا.

أراد يوسف أن يزيد الضغط عليه فقال متحديا إياه.

- إذا كنت فاكر نفسك قوي للدرجة دي، أقتلني دلوقتي؟

لأني مش هسمح لك تخرج من هنا.

أنا الوحيد اللي شايفك يا جابر. وعارف أنك محبوس في الجسم ده.

يتلوى جسد علاء يتصبب عرقا، ويعاني بوضوح لإخراج الكلمات.

- أنا هاخرج... مفيش زنزانة تقدر تمنعني من تنفيذ أحكامي...

مش هاقتلك، أنت مش على قايمتي.

يمكن أنا لسه معرفكش، يا صاحب الرؤية.

لكن أنت جواك شيء مختلف قربت تلمس الحقيقـ...

قبل أن يكمل جابر جملته، يرتفع مؤشر نشاط المخ على شاشات فؤاد بشكل خطر.

د. فؤاد بصوت عال ومحذر

- كفايا يا يوسف! النشاط العصبي، وصل إلى مستوى الانهيار!

في نفس اللحظة ينهار جسد علاء على السرير.

يفحص د. فؤاد الأجهزة ويكتب في نوتته. الكيان لم يهرب، لكنه أصبح أكثر غضباً.

يوسف صوته يرتجف وهو يمسح أركان الغرفة بعينه

- هو بيخطط للهروب. مش هيستنى كتير.

حاتم لازم يتحرك دلوقتي. أحنا عارفين الأهداف... لازم نحميهم قبل ما يوصل ليهم.

فؤاد يلتقط الهاتف

أيوه يا حاتم. مش كفاية عزل علاء. لازم نحمي فريد وحسام. قبل ما جابر يسبقنا بخطوة، وزي ما قولت لك اللعب بقى على المكشوف

— ✦ —

منتهى الدهاء

مرت عدة دقائق قبل أن يهدئ جسد علاء، يبدأ في التقاط أنفاسه ويجلس بصعوبة، كان جسده يتصبب عرقاً، وبصوته الطبيعي.

- أنا عطشان عاوز أشرب.

دون تفكير قام يوسف بتعبئة كوب من الماء من القارورة في ركن الزنزانة وناوله لـ علاء.

مد علاء يده الواهنة وعلى وجهه ابتسامة لا تنتمي له، بل لكيان أخر يسكنه. يستغل جسده، كانت لمسه واحدة من طرف أصبعه لإصبع يوسف أكثر من كافية،

أهتز الماء في القارورة، قبل أن يهتز في الكوب بين أيديهم، يسمع يوسف طنين في إذنه اليسرى، ويشعر بتيار كهربائي بسيط في ساعده. تتغير تعابير وجهه للحظة، ...

لم ينطق، لم يبدُ عليه التغيير. فقط أستدار يغادر الغرفة في سرعة وصمت.

لم يلتفت يوسف إلى د. فؤاد الذي ناده أكثر من مره.

كانت خطواته سريعة، تنهب الممر خارج غرفة الاحتجاز،

من خلفة كان د. فؤاد يحاول اللحاق به حتى وصل إلى ساعي

يحمل أكواب من الشاي، أستوقفه يوسف، مد يده بالنقود وبصوت لا ينتمي ليوسف، طلب منه شراء علبة سجائر ماركة شهيرة واحضارها بسرعة الى مكتب العقيد حاتم.

عندما التقط الساعي النقود كانت اللمسة من طرف أصابع يوسف، تعني الكثير، أهتز الهواء من حولهم، وارتعشت الإضاءة،...

وضع الساعي الصينية التي تحمل الأكواب جانباً قبل أن يسرع نحو باب الخروج لشراء السجائر.

وقف بعدها يوسف لثواني دون أن ينطق ثم، ...

وكأنه أستيقظ من النوم نظر حوله وسأل دكتور فؤاد الوقف جواره، أنا أيه اللي جابني هنا؟

لم يلاحظ أحد شيء...

لكن كان هناك من يتنقل في الخفاء

— ✦ —

رسالة الدخان

في مكتب العقيد حاتم عوني، كان للتوتر صوتا يكاد يسمع. كصوت قدر يغلي على النار.

حاتم يصرخ في اللاسلكي، يوجه فرق الحراسة لتأمين منزل المحامي فريد منصور والضابط حسام.

- مش عايز غلطة. ممنوع دخول أي حد، ممنوع استلام أي طرود، وممنوع وجود أي غرباء! سامعين؟

أغلق الجهاز قبل أن يلقيه بعنف على المكتب، حين سمع طرق خفيف على الباب مسح وجهه بكفيه، قبل أن يقول.

- ادخل.

دخل عم مسعد، الساعي العجوز، بخطوات هادئة، لم يكن محني الظهر كعادته، وكانت عينيه مثبتتين على حاتم بثبات غريب لا يتناسب مع انكساره المعتاد .وضع الساعي علبة السجائر الحمراء على مكتب حاتم ببطء شديد.

نظر حاتم للعلبة باستغراب، ثم للساعي.

- إيه ده يا عم مسعد؟ أنا مطلبتش السجاير دي ... مبشربش النوع ده أصلا، منتا عارف.

ابتسم الساعي، وبنبرة صوت فيها خشونة غريبة، تختلف عن نبرة الساعي المعتادة الواهنة.

دي باعتها الدكتور اللي كان مع جنابك يا سيادة العقيد...

قبل أن يستوعب حاتم الغرابة في نبرة الصوت، كان الساعي قد استدار وغادر المكتب، تاركا الباب مفتوحا خلفه .حدق حاتم في علبة السجائر، ... لم يلمسها.

شعر بقشعريرة باردة تسري في عموده الفقري.

في تلك اللحظة، اقتحم يوسف زهران المكتب، يلهث وجهه شاحب كأنه رأى شبحًا، وخلفه د. فؤاد يحاول اللحاق به .

صرخ يوسف بصوت مبحوح

- حاتم! اقفل المخارج! اقفل الأبواب كلها! الساعي... امسك الساعي!

انتفض حاتم واقفًا

- الساعي؟ ليه عمل ايه ده لسه خارج من هنا حالا!

يوسف ضرب جبهته بيده في يأس.

- ده مش الساعي يا حاتم... ده جابر !

في جهاز اللاسلكي اعطى الامر بإحضار عم مسعد فوراً، في لحظات كان واقفا بينهم يرتعد، تغيرت نبرة صوته، عاد ظهره للإنحناء، ونظرة عينه لانكسارها

- والله ما عملت حاجة يا سعادة الباشا...

عاد حاتم ببصره إلى علبة السجائر. مد يده بحذر والتقطها. كانت خفيفة، فارغة، إلا من ورقة صغيرة مطوية بداخلها.

فتحها بأصابع مرتجفة .مكتوب عليها بخط مهتز

- شكراً على التوصيلة يا دكتور يوسف،

وعشانك أنت بس يا يوسف هاقول لك

الدور الجاي على حسام.

حاول توقفني لو تعرف ... التوقيع جابر

سقطت الورقة من يد حاتم.

- حسام... جابر رايح لحسام دلوقتي

يوسف استعاد تركيزه رغم الصدمة، نظر ليده فوجد العلامة على رسغه، تمتد سنتيمترات قلية لكنها واضحة،

كانت أصغر من الموجودة على معصم علاء، التي كانت تمتد من كفه إلى قرب مرفقه،

امسك يد الساعي يتفحصها كانت العلامة موجودة،

بالكاد أكبر من علامة يسوف، قال يوسف بعد أن استنتج أمرا ما بشكل قاطع.

- العلامة دي توقيع جابر، ...

بصمة بيسبها على الجسم اللي استخدمه للانتقال وهتكون وسيلتنا اللي نوصله بيها.

—✦—

هروب في الزحام

عندما راجع العقيد حاتم كاميرات المراقبة، كان اخر من لمس عم مسعد الساعي، هو المجند صلاح، الذي ظل واقفاً مكانه لدقائق في الممر، بجانب مكتب العقيد حاتم، قبل أن يتحرك في بطء عندما رفع يده إلى فمه وهو يتثاءب ظهرت العلامة واضحة جلية، نظر بعين ثابته نحو كاميرا المراقبة، وكأنه يراهم من خلالها، قبل أن يتحرك بخطوات ثقيل نحو الدرج ليهبط،

خرج من بوابة المديرية إلى الشارع المزدحم.

لم يسرع، بل كان يقف في ثبات وكأنه ينتظر أمرا ما،

عندها قام العقيد حاتم يلاحق صلاح وهو يعطي أوامره في جهاز اللاسلكي، إلى فريقه.

كان صلاح ينظر خلفه وكأنه يتأكد من أنهم يتبعوه، وحين لمح حاتم يهبط الدرج،

أندفع نحو زحام المارة يلوح بابتسامة بلا معنى، إلى سائق سيارة أجرة عابرة. ويصافحه، قبل أن يتوقف مكانه، كالتمثال، لا يدري ما جاء به إلى هنا...

عندما وصل اليه حاتم، وضع يده على كتفه، التفت المجند وتراجع

في زعر، يعطي التحية العسكرية، وقد ظهرت العلامة الزرقاء على ساعده.

من بعيد، كان سائق السيارة الأجرة ينظر إلى حاتم بابتسامة غريبة، ويعطيه التحية العسكرية هو الأخر، وبصوت مرتفع

- حاتم بيه، بلغ يوسف سلامي، قول له اللعب لسه في أوله

يمد السائق يده إلى بائع متجول يشتري منه مناديل، يلامس البائع يد السائق، يسرع البائع يعبر الطريق في الاتجاه المعاكس يلوح لحاتم بأكياس المناديل من الجهة المقابلة، ويكمل الحوار بصوت جهوري يخترق الزحام،

- مش هتعرفوا توقفوني يا حاتم.

التفت له حاتم وأسرع الخطى يشق طريقة خلف بائع المناديل، وسط الزحام بصعوبة، حين جاءه صوت سيده عجوز، من أتجاه أخر بالكاد يراها وسط الزحام، تلوح له وهي تقول،

- بتدور على مين يا حاتم؟ أنا هنا،

قالتها وناولت طفل صغير قطعة حلوى أخذها بفرحة، وأبتعد مسرعاً.

عندما وصل اليها حاتم كان جسدها متصلب وعيناها جامدتان لا ترى، وجاءه صوت الطفل من فوق درج كبري المشاة،

كان يمسك قطعة مرآة صغيرة، يستخدمها ليعكس أشعة الشمس على وجه حاتم، وحين نظر له حاتم قال الطفل ضاحكاً

- أنا النور يا حاتم، ما ينفعش تمسك النور،

— ✦ —

في اليوم نفسه في وقت لاحق مساء.

كان الزحام في محطة المترو خانقًا كعادته. وجوه متعبة... أكتاف تتصادم...وخطوات تكاد تتشابك...
وتلك العجوز الواقفة في مكان ثابت. لا تتحرك.
تتنفس بعمق. كأنها حجر وسط موج بشري وفي عينيها انعكاس لضوء أزرق لا يعرف مصدره.

حين فتح المترو أبوابه، اندفعت جموع الناس،
وتدافعوا... لكن العجوز بقيت ثابتة. رفعت يدها ببطء، كأنه تريد المساعدة لدخول العربة، وفجأة... مر شاب بجوارها،
أمسك يدها يساعدها على الركوب.

اختفى الضوء الأزرق من عين العجوز.
وتجمد الشاب للحظة، كأن شرارة عبرت جسده أصابت عموده الفقري بالقشعريرة.

تنفست العجوز فجأة بعمق... اتسعت عيناها... نظرت حولها بخوف...همست

- يا ساتر يا رب... أنا فين؟ أنا إيه اللي جابني هنا!

لكن جابر... كان قد انتقل.

تحرك الشاب إلى وسط عربة المترو،
ممسكا بالعامود المعدني، على ساعده ظهر خيط أزرق، وكأنه الحبر. يمتد ببطء في عروقه.
تتحول عيناه تدريجيا للون أغمق...
كأنه يشاهد مشهدا داخل رأسه لا يراه أحد غيره.

سمع همسة داخلية... مجرد صدى واضح. وكأنها أفكارٍ تأمره

- محتاج وقت، أقعد مع نفسي شوية، وبعدين أكمل.

ابتسم الشاب ابتسامة ليست ابتسامته. ونزل في المحطة التالية دون سبب.

أنزوى في منطقة هادئة جلس على أحد مقاعد الانتظار.

في الحقيقة، كان جابر يرتب أفكاره، دون استعجال.

أنتقل جابر بعدها إلى سائق سيارة، أثناء دفع الشاب للأجرة، ثم عامل بمحطة وقود، ثم عامل توصيل طلبات، هو في الأساس لصاً خفيف الحركة يستتر تحت تلك الوظيفة، والكثير من الانتقالات.

كل انتقال... كان أبطأ، وأدق، وأقل أثرا.

جابر كان يمسح أثره وكأنه دخان يتبدد.

ومع كل انتقال كان يتعلم، يجرب. يكتشف نفسه الجديدة

كان عبوره بين أجسام المضيفين، بمسابة تمرين... يكتسب خبرات منهم ويتزود بمعلوماتهم يجمع بيانات وكأنه يبحث في شبكة الانترنت ولكن في عقول البشر، استطاع تكوين قاعدة معلومات كبيرة، واختار منهم بعض الشخصيات التي يمكنه استخدامها في المستقبل، إذا احتاج إليهم.

قبل الدخول في مرحلة الانتقام الحقيقية.

لم يكن يهمه كم سيستهلك من الوقت، لكن الأهم بالنسبة له كانت الجاهزية.

كان قد أتخذ قرار بإن أية خطوة سيتخذها يجب أن تكون مدروسة، ليس بها احتمال واحد للخطأ...

مطاردة الدخان

كان فريق العقيد حاتم عوني في حالة استنفار قصوى.

الصوت الحاد لأوامره كان يملأ ممرات المديرية

- نعمم النشرة أي حد على ايده العلامة الزرقا، مهما كان شكلها، يتقبض عليه فورًا! كله يتحط في الحجز... لحد ما نشوف حل مع جابر ده

تحركت القوات كخلايا نحل مضطربة.

جنود، ضباط، مخبرين... كلهم يبحثون عن أي ذراع تحمل أثر العلامة تم القبض على الساعي، الجندي صلاح، أمين شرطة، معاون حديث التعيين، وبعض المواطنين منهم السيدة العجوز وبائع المناديل.

وكل منهم لا يدري ما هو الاتهام الموجه إليه... لا يعرفون كيف ظهرت العلامة على أجسادهم أصلًا، ، وعلامات الذعر في عيون الجميع

حاتم كان يصرخ وهو ينظر للشارع من خلف الزجاج العاكس لنافذة المكتب بغضب

- جابر كان بيتنقل من واحد للتاني أسرع من اللي نقدر نتخيله... أحنا لازم نوصل لحسام قبل ما يوصله هو.

أعطى بعض الأوامر لتجهيز حملة، قبل أن يغلق جهاز اللاسلكي. ويتوجه مسرعا على رأسهم نحو فيلا حسام.

ركب سيارته السوداء المصفحة، وعلى اليمين كان يجلس ملازم يحمل جهازًا خاصا لكشف الحرارة والانبعاثات الكهربائية في الجلد بحثًا عن العلامة.

انطلقت الحملة المكونة من أربع سيارات.

تشق طريقها إلى فيلا الضابط حسام غانم في التجمع الخامس.

داخل السيارة، كان حاتم يتحدث بسرعة:

- إحنا هنأمن حسام غانم... مش عاوز غلطة.

محدّش يدخل الفيلا قبل الكشف على إيده.

الشغالين، السواق، حتى أفراد الأسرة...

رفع الضابط جهاز الفحص

- الجهاز ده قادر يظهر العلامة من على بعد قبل حتى ما قبل ما نقرب من أي الشخص، عشان نقدر نسيطر عليه من غير ما يلمس حد فينا.

— ✦ —

في التجمع الخامس، حيث فيلا اللواء السابق حسام غانم . بكمبوند راقي، كانت الساعة تشير إلى العاشرة مساءً،

سكونا تاما لا يقطعه سوى صوت صراصير الحقل في الحديقة، ونباح كلاب الحراسة البعيد.

كانت الفيلا أشبه بقلعة حديثة، أسوارها عالية، وكاميرات المراقبة تغطي كل زاوية.

في الداخل كان حسام غانم، رجل في أواخر الستينات، ذو جسد رياضي ضخم، لا يزال يحمل الكثير من القوة. يجلس في غرفة مكتبه الفخمة، يرتدي روبًا حريريًا ويمسك بكأس بين أصابعه، يتحدث في الهاتف بصوت يملأه الغرور والضجر.

- يا فريد متخافش، بقولك حاتم عوني ده عيل من عيالي. كلمني دلوقتي وباعتلي حراسة تقف بره الفيلا؟ ... ... فاكرني هخاف من تهديدات مكتوبة بدم عاهرة؟ ... هسيبه يعمل اللي هو عاوزه.

على الطرف الآخر، كان صوت فريد منصور المحامي، قلقاً

- يا حسام الموضوع مش بسيط... سهام ماتت بطريقة غريبة، والولد الصحفي اللي قتلها، بيقولوا عليه كلام مش مفهوم. أنا قفلت على نفسي ومش هقابل حد.

حسام يأخذ رشفة طويلة من الكأس.

- أنت طول عمرك جبان يا فريد. أنا هنا ملك. عندي سيستم أمان يلقط الدبانة، وسلاحي المرخص تحت المخدة. اللي يقرب من سور الفيلا دي... هيموت قبل ما يلمس الجرس.

أغلق الخط وألقى الهاتف أمامه على المكتب، ثم نظر إلى شاشات المراقبة التي تغطي محيط الفيلا. كل شيء هادئ. فرقة من الحرس الخاص تقف عند البوابة الحديدية، والدورية التي أرسلها حاتم في الطريق قد أشرفت على الوصول، بحسب مكالمة حاتم.

شعر حسام بالسيطرة كاملة، همس لنفسه.

- مجنون مين اللي يفكر يجي وسط الحراسة دي.

على الطريق الدائري، كانت سيارة حاتم عوني تنهب الأسفلت، ومكبر الصوت يصرخ بأوامر لفتح الطريق.

— ✦ —

عندما وصلوا البوابة. كان حرس الفيلا مذهولين من حجم القوات التي هبطت أمامهم، حين أشار لهم أحد الضباط فجأة فور نزوله من السيارة المصفحة.

- ارفع ايدك أنت وهو دلوقتي! أكشف عند دراعك.

رفعوا أيديهم.

تنفيذا للتعليمات التي تلقوها من حسام غانم، بعدم الممانعة والتعاون التام مع فريق حاتم عاوني.

عندما لم يجدوا علامات على أيدي فريق الحراسة انتشر عشرات الضباط داخل الفيلا.

تم تفتيش الحديقة، السطح، الممرات... وتم وضع قناصة على ثلاث نقاط عالية. وحاتم كان يوجههم

- اوعى حد يتعامل مع أي شخص غريب...

لو ظهر أي حد، بلغوني فورًا.

إحنا في سباق مع واحد قادر يختفي في أي جسم.

وبينما الفريق يكدس دفاعات حول فيلا حسام...

كان الهدف الحقيقي في مكان آخر تمامًا.

— ✦ —

قراءة للعقل

في مكتب صغير داخل مديرية الأمن، جلس يوسف زهران أمام د .فؤاد الجبالي. كانت الغرفة هادئة بشكل مزعج، على عكس الضجيج الخارجي.

يوسف كان هادئًا... هدوء شخص يرى الصورة كاملة بينما الجميع يطارد ظلًّا. كان يدير كوب الشاي بين يديه حين قال

- حاتم بيجري ناحية الشخص الغلط.

نظر له د. فؤاد باستغراب:

- إزاي غلط؟ ده المنطقي... حسام هو اللي علـ...

قاطعه يوسف بابتسامة صغيرة

- من تفريغ مكالمات سهام، واضح جدا أن مفيش اتصالات بينها وبين أي حد باسم حسام، جابر مش عارف مين اللي دبر لقتل مراته وأبنه، وإلا مكنش بدأ بأضعف حلقة في السلسة.

سهام بالنسبة لجابر هي بداية الخيط. بدأ بيها عشان يعرف مين بعدها

أمسك يوسف قلمًا وبدأ يرسم دائرة صغيرة على ورقة

- جابر مش كيان غيبي... مش ملاك ولا شيطان...
ده وعي إنسان... راجل مات مقهور من الظلم.
ما يعرفش الغيب، هيوصل لمعلوماته من الشخص المضيف ليه وهو معاه بعد ما يتنقل له. معلومة من مكلمة تليفون مثلاً.

رفع رأسه ونظر لفؤاد مباشرة.

- وده معناه إن هدفه الوحيد الواضح... هو فريد منصور.
لأنه آخر شخص عنده معلومات مؤكدة عنه من مكالمة سهام قبل ما يقتلها.

هز فؤاد رأسه بدهشة

- أنت عرفت طريقة تفكيره لما كان جواك؟...
- لأ ده مجرد استنتاج منطقي.
- يبقى جابر ضحك علينا؟ ساب لنا رسالة مضروبة؟
- طبعًا... جابر مش متسرع، الوقت بالنسبة ليه مش عامل مهم، الأهم بالنسبة ليه هو الانتقام المبصر زي ما قال.
ومش متلخبط... ده بيلعب لعبة عقل.
وإحنا دلوقتي بنجري وراه في الاتجاه اللي هو رسمه بإيده.

أخذ نفسًا عميقًا وأضاف:

- جابر مش عايز يسبقنا... هو عايز يخلينا نظن إنه سابق.

رفع كفه، أظهر العلامة الصغيرة على رسغه.

- ده توقيعه...مش تهديد. دي بصمة بيسيبها.

وده معناه إننا نقدر نتتبعه...

بس مش بالطريقة اللي حاتم فاكرها.

مال للأمام بجدية

- جابر بيزرع فكرة واحدة في دماغنا... إنه لا يمكن السيطرة عليه. وده جزء من خطته...

لأنه عرف إني فهمت طريقة انتقاله.

ابتسم د. فؤاد بعد أن أدرك مقدار ذكاء الخصم

- بيحاول يرفع سقف الرهبة... مش القوة.

سكت لحظة، ثم قال.

- وده معناه... إن المشوار مش ناحيتهم.

المشوار... للمكان اللي إحنا مش شايفينه.

بينما حاتم يحاصر فيلا حسام بما يشبه حصار منطقة حرب...

كان يوسف اكتشف أن كل شيء يحدث هناك،

هو مجرد ظل وأن جابر...

متجه نحو الهدف الحقيقي. فريد منصور ...

وصول آمن

بينما قوات حاتم تحاصر فيلا حسام في التجمع، كان فريد منصور يجلس في صالة شقته الفاخرة بالزمالك، يتابع الأخبار على شاشة عملاقة، حينما رن جرس الباب.

نظر فريد إلى الساعة كانت العاشرة مساءً. لم يكن ينتظر أحدًا، نظر في الكاميرا، رأى ابنه خالد، ابتسم لأول مرة منذ أيام. أسرع نحو الباب يفتحه.

كان خالد يحمل حقيبة طعام. فتح فريد الباب مرحبا به.

- خالد حبيبي إيه المفاجأة الحلوة دي، ده أنت نورت البيت... تعالى يا حبيبي.

احتضنه خالد بقوة،

قوة لا تحمل عنفًا، بل دفئًا زائدًا عن المعتاد. انتفض جسد فريد، وشعر بالبرودة تسري في عروقه، بغير سبب

ذهب خالد بخطوات سريعة نحو طاولة الطعام، وضع حقيبة الطعام وهو يقول.

- أكيد ما أكلتش حاجة من الصبح أنا عارفك.

فريد يجلس أولاً.

- فعلاً... اليوم كان طويل. بس قولي هما مراتك والبنات فين؟

خالد وهو يفتح أكياس الطعام

- عند حماتي... عندهم مناسبة الليلة دي، قلت أجي أقعد معاك شوية. وهعدي أخدهم وأنا مروح

جلس الاثنان على الطاولة، كانت الأجواء هادئة... عادية.

حتى سأله خالد

- انت سمعت يا بابا عن قتل سهام الصحافية،

رفع فريد نظره إليه بدهشة.

السؤال كان بريئًا... لكنه فتح بوابة من الذكريات المتوترة.

- ايوه كانت جريمة بشعة والناس كلها بتتكلم عنها؟
- دي كانت موكلة عند حضرتك، أنا فاكر إني شفتها معاك قبل كده.
- أيوه يا سيدي واليوم اللي اتقتلت فيه كلمتني كمان، قبل ما تتكلم مع الولد اللي قتلها.
- كلمتك؟ غريبة الصدفة دي
- ما هو البوليس سألني، عن سبب المكلمة

يكمل خالد أسالته بنفس البراءة

- صحيح كلمتك بخصوص إيه؟
- يعني... مفيش ... هي كانت مرعوبة، بتقول ان في حد بيهددها.

وسألت عن حسام بيه...

توقف قليلًا، شعر أنه قال أكثر مما يجب.

خالد بهدوء وهو يمضغ الطعام دون أن ينظر لأبيه

- مين حسام بيه ده؟

فريد يتنهد ويترك الطعام وينفض يده.

- ده واحد من معارفي القدام، كانت عاوزه يحميها.

العشاء يستمر... حديث خفيف، ضحكات متقطعة.

ولا شيء أكثر.

بعد أن انهوا طعامهم، رفع خالد بقايا الطعام عن الطاولة

قام خالد ليغسل يديه. عاد يحمل مناديل ورقية... كان يرفع أكمامه

وقد ظهر خط أزرق خفيف في باطن ساعده،

ومع نظرة شرود لا تشبهه، أدار ظهره لحظة... أخرج ورقة صغيرة مطوية من جيبه كانت هناك دون أن يعرف هو نفسه من أين جاءت، وضعها داخل بونبونيرة، تزين طاولة الطعام.

كان هذا كل ما فعله جابر من خلال خالد.

لم يمس إرادته...أحترم علاقة الأب بإبنه، لم يدمر إنسانيته... فقط مرر رسالة صغيرة.

عاد لهيئته الطبيعية، وكأن شيئا لم يحدث.

خالد ينظر في ساعته، يتناول معطفه من على المقعد ويقول وهو يرتديه

- طب أنا همشي قبل ما أتأخر على العيال. وهابقى أكلمك الصبح.

يربت على كتفه

- ربنا يخليك لي يا ابني.

ودعه فريد حتى باب الشقة وحين تلامست أطراف الأصابع في السلام الأخير،

اهتز الهواء من حولهما وارتعش الضوء.

وسرى تيار صامت في معصمه. شعر فريد بقشعريرة برد تمر في جسده،

غادر خالد الشقة، لا يشعر بشيء، ذهنه صاف تماما.

تحت ملابس فريد، كان هناك خط أزرق رفيع بدأ يظهر...ببطء ينبض... قبل أن يستقر تحت جلده.

لم يشعر فريد إلا بصداع بسيط... تمدد على أريكته المفضلة، وهو يقول لنفسه

- أنا محتاج أنام...

كانت هذه اللحظة ... هي لحظة ولادة جديدة.

في داخله... كان جابر، صامتا... مستيقظا... جاهزا.

—✦—

لقاء لا بد منه

لم تمر سوى عشرة دقائق على نومه حين استيقظ فريد منصور مفزوعا على صوت الجرس.

كان نومه أثقل من المعتاد... وكأنه كان غائبا عن الدنيا كلها.

جلس على طرف الأريكة، فرك عينيه، ثم التقط هاتفه وهو يتمتم

- هي الساعة كام مين بيرن تاني دلوقتي.

جرس الباب يتكرر... قام بتثاقل نحو شاشة المراقبة.

كان هناك رجلان يقفان أمام الباب.

شعر فريد بأن شيئا ينقبض في صدره.

لم يكن يعرف أحدهما...

جرس الباب يرن من جديد بإصرار.

هذه المرة، يقترب أحهما من الكاميرا...

يقول بصوت مسموع وواثق.

- أستاذ فريد... إحنا مش جايين نأذيك. أحنا من فريق البحث الجنائي مع العقيد حاتم عوني، أنا دكتور يوسف زهران ومعايا دكتور فؤاد الجبالي.

إحنا جايين نسمع منك... قبل ما يوصل لك حد تاني.

الكلمات تضرب إذن فريد كصفعة.

يوشك أن يتراجع... لكنه يتجمد. يضغط على زر التحدث

- عايزين ايه في الوقت المتأخر ده؟

فؤاد يرد برفق.

- إحنا عايزين نساعدك قبل ما يجيلك حد تاني.

- مش هافتح لحد قولي عاوز إيه وأنا سامعك

يكمل د. فؤاد بنبره أعتادها في مواجهة مرضاه، بالحديث المباشر عن المشكلة

- عايزين نقول لك... أن اللي قتل سهام بالوحشية دي، مش علاء زي مكنا فاهمين ده جابر،

ولازم نعرف هل فعلا في علاقة تربطك بيها، تخلي جابر يحاول يقتلك؟

لإنه دلوقتي هو بيحاول يوصلك أنت وحسام غانم.

فريد يترك زر الإجابة، يتراجع خطوة للخلف تلقائيًا، يمد يده نحو الهاتف بسرعة، طلب حسام غانم وصوته يرتجف رغمًا عنه.

- حسام... رد يا حسام... الموضوع كبير.

يرد حسام بنبرة ضجر متعالية.

- إيه يا فريد؟ أنت لسه صاحي؟

- في... في اتنين واقفين قدام باب الشقة. ما أعرفهمش.
- يا فريد... أنت مرعوب ليه؟ ما تفتحش لأي غريب، اقفل الباب. وكلم الشرطة.

فريد يبلع ريقه

- هما بيقولوا أنهم تبع الشرطة بس أنا... مش متأكد.
- يتغير صوت حسام فجأة... يصبح منخفضًا... حادًا... يحمل الكثير من القلق

اسمعني كويس... لو دول من الشرطة ابعتلي صورتهم.

لو جايين يسألوا عن حاجة... متفتحش الباب. وما تقولش كلمة واحدة... فاهم؟

- بيقولوا جابر هو اللي قتلها وبيحاول يوصلنا بعدها أن وأنت....
- صمت من الطرف الآخر. صمت ثقيل جدًا فريد... أنت بتهزر؟
- والله ما بهزر... اللي سمعته هو اللي قالوه بالظبط.

حسام يقاطعه بصوت ينفجر غضبًا

- اخرس! متتكلمش مع حد تاني.

اقفل الباب، ومحدش يدخل... وأنا جاي لك حالًا.

غلق الخط.

فريد ينظر للهاتف وهو يرتجف... ثم يرفع رأسه نحو الشاشة...

تتعلق عينيه بيوسف وفؤاد،

ما زالا واقفين، في هدوء، في ثبات... كأنهما يعرفان ما دار في المكالمة.

وهناك شيء آخر... شيء في أعماقه. صوت داخله... ليس صوته.

هادئ... بارد... حاسم...

- افتح الباب يا فريد، سيبهم يدخلوا... أنا جاهز.

فريد يتجمد... ورغما عنه يده ترتفع نحو زر الفتح...

يرتجف... لكنها تنصاع لغير إرادته، تفتح البوابة الإلكترونية بصفير خفيف.

يدخل يوسف وفؤاد بحذر. يفحصان الردهة بعينيهما،

قبل أن يأتي فريد أمامهما... بخطوات ثقيلة وأرجل مرتعشة...

يحاول أن يبدو طبيعيًا.

فؤاد يراقبه كطبيب... ليس كمحقق.

فريد يتلعثم.

- أنا... أنا ماليش علاقة بموت جابر...أنا عملت اللي عليا، دافعت عنه، ... لكن القضية كانت صعبة، وكان فيه شاهدة إثبات، والمحكمة... حكمت بعد اقتناعها بثبوت الاتهام.
- يوسف يقترب خطوة. عينيه تركزان على ساعد فريد... حيث كانت العلامة الزرقاء تظهر تحت الجلد... كالوشم المخفي.

يوسف يبتسم ابتسامة قصيرة جدًا... ابتسامة من يفهم كل شيء.

- أستاذ فريد مين أخر حد قابلته النهارده؟
- أنا ما خرجتش النهارده خالص من البيت
- لكن فيه حد قابلك... سلم عليك ... لمسك

أشار فريد نحو طاولة الطعام دون وعي

- ايوه يا دكتور خالد ابني كان بيتعشى معايا ومشي من شوية.

أبتسم يوسف وهو ينظر نحو الطاولة كانت نظرته كافية لرؤية الرسالة

أشار لها وقال لفريد

- خالد شكله سايب لك رسالة.

مد فريد يده ألتقطها كانت ورقة صغيرة مطوية، فتحها.

كانت مكتوبة بقلم رصاص، بخط بسيط... غير ثابت...
لكن الكلمات واضحة كالسيف

- تم تأكيد الإدانة، وصدر الحكم عليك يا فريد... أعدام.
  والتنفيذ... حين يحين وقته. التوقيع جابر

تجمد فريد في مكانه... وسقطت الورقة من يده.
العلامة تحت الجلد تلمع، نبضة واحدة... نبضة صغيرة... لكنها كانت كافية ليوسف كي يعرف، أشار برأسه لدكتور فؤاد، الذي فهم ما يقصد.
همس دكتور فؤاد بصوت حزر يسمعه الجميع... ويسمعه جابر بوضح أكثر

- أستاذ فريد... مش محتاجين نتكلم معاك أنت دلوقتي.
  مش أنت اللي هيتكلم.

ثم أكمل

- أهلاً يا جابر...

— ✦ —

لقاء العقول

كان الصمت في الشقة أثقل من العامود الرخامي الممتد إلى السقف في الردهة، لم يتحرك أحد، ظل فريد واقفًا أمامهما في ذهول، أنفاسه متقطعة، كمن حكم عليه بالإعدام،... أو بمعنى أدق كمن تأكد من أن الحكم سيتم تنفيذه في القريب، دون وجدود حق دفاع، أو خداع المحكمة ودون فرصة للهرب.

كانت عيناه تهربان من وجوه الرجال الذين صاروا ضيوفه فجأة.

لكن بالداخل... لم يعد هو فريد فقط.

كان هناك حضور آخر... حضور يكاد يُرى لو أمكن للهواء أن يتشكل.

قال فؤاد بهدوء الطبيب الذي يعرف أن ما سيقوله سيهزّ الوجود أمامه.

- أهلاً يا جابر.

لم يرتجف فريد، لكن شيئًا داخله تغيّر... وكأن كلمة د. فؤاد قد ضغطت علي زر لتبديل الشخصية.

حين رفع رأسه أخيرًا، كانت نظرته ثابتة بطريقة لا تُشبه الرجل الذي كان يلهث قبل لحظات.

جلس يوسف على أقرب مقعد.

كأن الوضع لا يحتاج استعدادا جسديا... بل يحتاج الكثير من الاستعداد العقلي. قال يوسف بنبرة منخفضة.

- إحنا مش جايين نحاربك يا جابر... وإنت عارف.
إحنا جايين نفهم

لم يتحرك فريد، لكن الصوت الذي خرج منه... لم يكن صوته.

كان أبطأ... أعمق.

- ديما محاولة الفهم هي بداية الطريق. أما المعرفة... فهي نهايته. أنا مش مجرم يا يوسف، أنا باحث عن الحقيقة. زيك يا دكتور فؤاد

نظر إلى يوسف وفي عينيه لمعة غريبة وأكمل

- لما كنت جواك قابلته، واتعلمت منه، حقيقي شكرا ليك يا يوسف، أنا دلوقتي بقيت أهدى بكتير، وأكتر حكمة.

تبادلت النظرات بين يوسف وفؤاد. كانت الكلمات تحمل ظلا لشيء أكبر.

نظر فؤاد إلى ساعته قبل أن يجلس على الكرسي المقابل، يضع نوته صغيرة على المنضدة بعد أن دون بها ملاحظة صغيرة.

- طيب نبدأ من أخر سؤال، ليه ما قتلتش فريد؟

صمت لثوانٍ، كانت عينا فريد، تتنقلان بينهما ببطء، كأنهما تدرسان نبضهما قبل أن تدرسا السؤال.

- ما ينفعش أكسر الباب ... قبل ما أعرف مين اللي وراءه.

فريد... طريق هبدأ منه، ولسه بدري على محطة الوصول.

سجل فؤاد شيئا في ورقته.

يوسف، الذي كان يراقب العلامة الزرقاء تنبض تحت جلد فريد، قال.

- يعني أنت جاي تدور على اسم، أو معلومة.

أو حد تاني في سلسلة الانتقام؟

ابتسم فريد ابتسامة لا يمكن أن تخرج من رجل مذعور. كانت ابتسامة باردة

- نفس اللي بدور عليه من الليلة التي ماتت فيها عايدة.

عن الانتقام يا يوسف، العدالة المطلقة، أنا مش فاضلي حاجة في الدنيا بتاعتكم، لكن مش ها سيب حقي.

تبادل يوسف وفؤاد نظرة سريعة. د. فؤاد انحنى قليلاً للأمام.

- طيب... خلينا واضحين اكتر، أنت بقيت جوه جسم فريد، جوه عقله.

يعني عرفت كل حاجة في حياته.

شفت مين؟ عرفت مين بعد سهام؟

هنا... بدا شيء ما يتغير. كأن أبعاد الشقة تغيرت فجأة.

أو أن جسد فريد... قد أقترب منهما أمتار، دون أن يتحرك

- أنت عارف يا فؤاد في سباق الجري، بيبقى فيه نقطة لازم تدوس عليها، تضغط عليها برجلك قوي قبل ما تنطلق.

سهام... كانت نقطة بداية. كان لازم أدوس عليها قوي.

قبل ما أبداء

يوسف بتوتر.

- كلام مجازي ... قولنا اسم يا جابر. مين بعدها من غيرها؟

هنا انخفض صوت جابر حتى كاد يلامس الأرض.

- في راجل أنا شاكك فيه من زمان... هو مش هنا.

مش حسام. أهم من حسام... وأتقل من فريد.

سأل فؤاد بحدة غير مقصودة.

- مين؟

أجاب جابر

- أكبر المستفيدين من اللي حصل.

يوسف يأخذ نفسه ويظفره

- يعني... في حد ثالث، أكبر منهم هما الاتنين؟ ... أهم منهم؟

هنا... أغمض جابر عيني فريد للحظة قصيرة.

وحين فتحهما... كان بهما بريق اليقين

- فريد... ما يعرفش الحقيقة كلها وأنا... لازم أتأكد.
  مش هاقتل حد قبل ما أعرف كل حاجة.

اقترب يوسف منه خطوة، رغم أنه يعرف الخطورة.

شعر بأنه يدخل مدى كائن لا يمكن التنبؤ به.

- يعني... لسه في وقت؟ لسه في فرصة نفهم ونتأكد؟

رد جابر

- مفيش أكتر من الوقت، لأن العدالة... مش محتاجة سرعة.
  العدالة محتاجة يقين.

سأل فؤاد وهو يلتقط أنفاسه

- مين الهدف اللي جاي؟

لم يجب جابر مباشرة. بل مد يده ببطء، ووضعها على سطح الطاولة. ثم طرق بإصبعه ثلاث مرات.

- المكان... الأول، في مكان... لازم أشوفه بعيني.
  الليلة.

اتسعت عينا يوسف.

- مكان إيه؟

ابتسم جابر ابتسامة قصيرة جدًا... ثم قال.

- المكان... اللي أدبر فيه كل حاجة، ومن المكان ده هنفتح الطريق.

مع أخر كلمة أنهار جسد فريد وسقط على الأرض

نظر د. فؤاد في ساعته ودون ملاحظة أخرى، قبل أن ينظر إلى يوسف

لم يتحرك أحد بعد الجملة الأخيرة.

كأن عبارة المكان الذي دبر فيه كل شيء. لا زالت تتردد في الارجاء

اقترب يوسف، مال وضعا كفيه على ركبتيه، يحاول الحفاظ على ثابتة

- المكان فين يا جابر؟
  هتودينا لفين؟

لم ينظر جابر إليه... كان جسد فريد ينتفض كالمذبوح.

أعترض د. فؤاد الطريق بين يوسف وفريد،

وضع يده على كتف يوسف، وأشار له نحو الأريكة

تحرك يوسف في يأس نحو الأريكة، وقال بصوت واهن.

- انهيار عصبي. زي ما حصل مع علاء.
- بالظبط يا يوسف، وتقريبا في ضعف المدة الزمنية، أربع دقايق مع فريد، قصاد دقيقتين مع علاء.
- معنى كده أن قدرته على التحكم في جسم المضيف بتطور.
- ده بيفسر سرعة الطعنات في قتله لسهام، كان عاوز يتأكد من موتها قبل الانهيار.
- دلوقتي المدة بتزيد يعني الخطورة بتزيد.

- نفهم من كده حاجتين، جابر بيتواجد داخل جسم المضيف، لفترة طويلة، لكن لما بيستخدم الجسم لمدة معينة، والمدة دي دقايق، لو وصل لنهايتهم بينهار.
- في حاجات تانية عاوزين نعرفها يا دكتور فؤاد، هل في طريقة تانية لانتقاله، غير اللمس المباشر، كمان طريقته في الحصول على معلومات أو خبرات من الجسد المضيف ليه.
- تفتكر يا يوسف المكان اللي يقصده ده يكون فين؟

يوسف نهض، مشدود الأعصاب

أكيد يقصد مكان الاجتماع اللي تم فيه التخطيط للمكيدة الأولى، اللي حكمت عليه وعلى عايدة بالموت؟

—✦—

تصريح مرور

العلامة في ساعد فريد كانت تخبو وتشتعل، كشرارة نار في رماد رطب.

كان جسد فريد لايزال ممددا على الأرض، حتى بعد الإفاقة، من فرط الخوف والإجهاد.

وقف يوسف وفؤاد متقابلين، وحولهما الصمت.

يوسف بصوت منخفض، أقرب إلى همس

- جابر... أنت موجود؟ ... متحاولش تتكلم، جسم فريد ضعيف مش ها يستحمل انهيار عصبي تاني، الجسم البشري ليه قدرة تحمل وأنت طاقة أعلى من قدرة فريد

لمعت العلامة بنبضة أقوى، كأنها تعترض.

ظهر صوت جابر... ليس من فم فريد، بل كارتداد داخل الغرفة، كفكرة منبعثة من عمق جدار.

- فريد جبان... مش ضعيف... أنا هنا عشان أعرف، كنت عاوز أفهم واتأكد كويس قبل الحكم.

فؤاد يتقدم خطوة، بجرأة عالم قضى حياته يطارد الأسئلة.

- ولو طلبنا منك تخرج وها نسمعك... بدون ما تستخدم جسم حد؟

لمعت العلامة بنبضة زرقاء، كأن جابر يفكر.

ثم أتت كلماته بحدة

- أنا محتاج جسم عشان أتكلم منه... من غير جسم صوتي مش ها يوصل لكم.

يوسف ينظر لدكتور فؤاد قبل أن ينظر إلى ساعده، حيث العلامة الخفيفة التي تركها جابر عند خروجه من علاء.

كان يشعر بشيء أقرب إلى الارتجاف... لكنه لم يكن خوفا، بل فضولا.

فضول الإنسان الوحيد الذي، رأى ما لا يُرى.

التفت إلى فؤاد وهمس.

- أنا جاهز.

فؤاد ينظر إليه بصدمة.

- يوسف! أنت فاهم بتقول إيه؟

يوسف يبتسم بجانب وجهه.

- لو عايزين نعرف الحقيقة... لازم نسمح له يدخل. وده مش احتلال... ده عبور مؤقت. وأنا الوحيد اللي عنده خبرة سابقة مع وعي دخيل.

صمت فؤاد طويلا. ثم فتح كفه.

- أنت مش لوحدك. أنا معاك... ولو اختار يدخل حد... يدخلني أنا.

أنا عالم نفس. اظن إني هعرف اتحكم فيه، وأقلل انحرافه.

جابر يقاطعهما، بصوت أكثر وضوحا.

- فريد بقى زي شاشة مكسورة مش هعرف أشوف منه غير اللي شفته، أنتم الاثنين... شاشات مفتوحة.

شايف جواكم رغبة البحث عن الحقيقة المطلقة،

كشف المجرم الحقيقي مش خطأ، وعقابه مش جريمة،

مستحيل أخسركم، وأحنا هدفنا واحد.

لكن واحد فيكم... نقي. بيشوف الحقيقة قبل ما تظهر.

كانت الكلمات موجهة ليوسف.

يوسف يرفع يده، يمدها ببطء نحو فريد، ويقول

- تعالى. بس بشروطي. مش هاتسيطر. مش هتقتل.

مش هتستخدمني إيد لتنفيذ عقاب،

لكن هنكون مع بعض عين للبحث، وعقل للفهم؟

يهز جابر رأس فريد بالموافقة،

يمد يوسف يده...

تتوهج العلامة في ساعد فريد فجأة، يمتد الضوء الأزرق نحو يد يوسف كخيط حركه الهواء.

تهتز الستائر، وترتج الأرضية تحت قدم فؤاد.

تنطفئ كل لمبات الشقة لجزء من الثانية...

ثم يعود الضوء.

يوسف يفتح عينيه ببطء... عيناه لم تعودا كما كانتا.

عيناه تحملان ثقل تجربة ليست تجربته.

يغمضهما ثم يفتحهما مرة أخرى ... ينظر لفؤاد، وينطق بصوت هادئ، لكنه عميق.

- أنا... لسه يوسف يا دكتور، بس هو... هنا.

لكن السيطرة... لسه معايا.

يوسف يبتسم، تخرج ابتسامته مزدوجة، وكأن ملامحه تبدلت، كانت نصفها ليوسف... ونصفها لجابر.

فؤاد يتراجع خطوة، يستعيد تركيزه بسرعة.

- يوسف...؟

يجيبه صوت أجش.

- ما تخافش يا فؤاد... إحنا لسه في مرحلة تعارف مش أكتر، مجرد كلام.

جلس يوسف على المقعد، ووضع راحتي يده على جانبي رأسه، كمن يستمع إلى أصوات داخلية كثيرة.

ثم قال. بصوت جابر

- دلوقتي... نقدر نبدأ.

نقدر نعرف مين دبر موت عايدة... وموت ابني...

ومين اللي الدور عليه.

في هذه اللحظة... دوى طرق عنيف على باب الشقة.

صوت حاد ينفجر من الخارج.

- افتح يا فريد. افتح ما تخافش.

عندما وصل الصوت إلى أذنه، إنتفض جابر غضباً داخل يوسف، تذكر أنه أستمع نفس الصوت من قبل، في ليلة حالكة.

ابتسم يوسف...

ابتسامة ليست ليوسف... ولا لجابر، ابتسامة وعي رأى الخريطة كاملة تتضح أمامه. نطق يوسف بصوته

- اللعبة... ها تبتدي دلوقتي.

—✦—

صوت أيقظ الذكريات

دوى الطرق على الباب مرة أخرى... أعنف.

كأن صاحب القبضة لا يطرق ليفتح باب، بل ليقتحمه.

- افتح يا فريد... افتح دلوقتي.

صوت حسام غانم...

عالي، متهور، مختلط بغضب لا يخفي خوفه.

من خلفه كان يأتي صوت العقيد حاتم، أكثر هدوء...

لكن بحزم رجل يعرف أن الأوضاع قد تتغير في أي اللحظة.

- افتح يا أستاذ فريد أحنا شرطة، ومعايا قوات أمن لحمايتك.

يوسف جلس بثبات... ليست لديه نية للتحرك.

همس فؤاد في أذنه بحذر.

- انت كويس؟ التحكم معاك؟

يوسف يبتسم... ابتسامة قصيرة، ثابتة.

- أنا تمام. هو موجود جوايا ... لكن مش مسيطر.

ثم نهض، وأشار لفريد بيده.

- قوم افتح الباب... وما تتكلمش.

كانت عينا فريد تترددان للحظة، بين الباب وبين يوسف قبل أن يتحامل على جسده المنهك ويضغط زر فتح الباب، فعل ما طلبه يوسف، كمن سلبت إرادته.

وحين فتح الباب... اندفع حسام إلى الداخل دون أن يحيي أحدًا.

كان ضخما، عريض الكتفين، عيناه لا تعرفان الهدوء.

يليه حاتم، الذي توقف عند المدخل يتفحص كل شيء بعيني ضابط اعتاد قراءة الغرف. لم يسمح حاتم بدخول أحاد من أفرد قوته.

أمرهم بالانتظار خارج الباب.

حسام يصيح في فريد، يمطره بالأسئلة، قبل حتى أن يرى يوسف وفؤاد جيدا

- إيه اللي حصل هنا؟ ... مين دول؟

مش قولت لك ما تدخلش حد؟

أنت اتكلمت معاهم يا فريد؟

فريد يرفع يديه كطفل يخشى العقاب.

- أنا... أنا... هماا...

يوسف يتكلم قبل أن ينطق فريد بكلمة.

- أسمح لي أتكلم أنا يا أستاذ فريد... إحنا اللي جايين نسأل يا حسام بيه، وأنت مطلوب منك تجاوب.

يلتفت حسام بحدة نحو يوسف.

تتجمد نظراته للحظة... كأنه رأى شيئا في عيني يوسف لم يستطع فهمه. حاتم يتدخل بخطوة للأمام.

- يوسف... أحنا كلنا هنا عشان نحمي أستاذ فريد... مش عشان نعمل مشاكل.

يوسف يتقدم خطوة، ببطء... كمن يختار موقع قدميه بعناية في حقل ألغام.

- يا حاتم بيه... أنا مش بعمل مشاكل لكن الليلة دي... كل حاجة لازم تطلع للنور. الحقيقة لازم تبان.

يتحرك يوسف وينظر لحسام مباشرة.

- وجابر... عنده أسئلة لحسام غانم.

يشد حسام كتفاه للخلف،... يده اليمنى ترتفع تلقائيا نحو خصره حيث يخفي سلاحه. لكن حاتم يمد ذراعه يعترضه.

- اهدى يا باشا، مفيش حاجة تستاهل القلق، وبعدين دكتور يوسف ودكتور فؤاد، من الفريق بتاعي. يعني مفيش خطر.

يوسف يبتسم... ابتسامة تخفي أكثر مما تقول.

- فعلا مفيش خطر، ولا حتى من جابر نفسه. لسه جابر بيبحث عن أدلة، والحكم بعد المداولة.

لمعة خوف... واضحة، خاطفة، مرت في عين حسام.

يخفيها بسرعة خلف صوته الغاضب.

- جابر مين؟! ده ميت

أنا آخر مرة شفته، كان في المحكمة وهو بيموت!

يوسف يخطو خطوة، يقف أمام حسام مباشرة... قريب منه جدًا.

- وأنت كمان آخر واحد شاف عايدة... قبل ما تموت.

يسقط الصمت على الغرفة بكامل وزنه كضربة صاعقة.

حاتم وفؤاد يتجمدان خلف يوسف.

يغوص جسد فريد في الأريكة... كأنه سقط في حفرة مظلمة.

حسام يفقد لونه... يتراجع للخلف خطوة، شفتاه ترتعش، لكن صوته يحاول الثبات.

- انت... بتقول إيه؟ عايدة ماتت في الحريق!

والتحقيقات قالت كده! والطب الشرعي...

يوسف يرفع يده يسكته، ... يربت على صدر نفسه، ببطء.

كأنه يستشعر لنفسه الهدوء.

- جابر عارف الحقيقة، أكتر من التحقيقات.

وأكتر من الطب الشرعي وحكم المحكمة.

يتقدم أكثر... ويلفظ الكلمات كحقائق لا تقبل الشك.

- جابر فاكر صوت.

فاكره كويس أوي ... سمعه قبل الحريقة

كانت عايدة محبوسة جوه... في الأوضة، وجابر كان

مرمي على أرض بعد الضربة اللي أخدها على راسه.

بطبنجة ميري، زي اللي معاك يا حسام بيه، والراجل...

كان وقف فوق رأسه، زي ما أنت واقف قدامي كده... جابر

مكنش شايفه... بس سمع صوته كويس.

كان بيتكلم في التليفون.

أعطاهم يوسف ظهره وتحرك بخطوات خفيفة، كممثل مسرحي.

يأخذ وضعية معينة قبل بداية العرض،

رفع يوسف يده ببطء، ضم قبضته الفارغة بجانب أذنه، كأنه يمسك الهاتف، ووضع يده الأخرى في جيبه، ألتفت وهو يتحدث.

- أنا هخلص لك كل حاجة الليلة دي... عايدة هتموت هنا وجابر لو مامتش، هيشل الليلة.

حسام يتراجع بزعر... ظهره يصطدم بطاولة صغيرة، يرتج الكأس عليها، قبل أن يسقط متحطما على الأرض. بصوت مدوي

حاتم ينتفض، وفريد ينكمش في مكانه أكثر، فؤاد ينظر ليوسف بدهشة لم يستطع إخفاءها.

حسام يندفع نحو يوسف يمسكه من تلابيبه وبعصبية صارخة.

- أنت جبت الكلام ده منين؟ أنت ما كنتش هناك...
ما حدش كان هناك!

يوسف ينفض أيدي حسام عن ملابسه بقوة،

يلمس صدغه الأيمن حيث تلقي جابر اللطمة، يمسحه ببطء، ينظر لكفه وكأنه يرى الدم... قبل أن يغلق عينيه للحظة...

- أنا ما كنتش هناك... بس جابر كان موجود.
لما دخل جوايا يا حاتم بيه... ساب ذكريات.
أنا شايف جزء من ذكرياته.
لسه الصورة ناقصة... بس الحقيقة قربت.

يقترب من حسام خطوة أخرى... حتى أصبح بينهما أقل من متر.

- جابر مش عاوز يقتلك يا حسام... على الأقل مش دلوقتي
لسه مش النهارده. هو عاوز يعرف الأول. مين كان معاكم
ليلة الحريق. ومين فبرك تقرير المعمل الجنائي.

حسام يصرخ، لكن صوته يخرج مكسورا.

- انت مجنون؟ أنا... ما عملتش حاجة!

يوسف يغمض عينيه... والغرفة تختنق وكأنها تفرغت من الهواء.
علامة زرقاء خفيفة تلمع في معصمه. لا ينتبه لها أحد.
صوت يوسف، يخرج هادئا جدا... ومتماسكا جدا.

- حسام... لسه قدامك فرصة... تقول الحقيقة.
  قبل ما جابر يسمعها... من فريد.

تلتفت كل الرؤوس نحو فريد. تتسع عيناه فجأة...
كأنه تذكر شيئا. لكنه يهز رأسه ويمط شفتاه

- أنا... أنا ماعنديش حاجة أقولها،... أنا ماعرفش حاجة عن الموضوع ده.

فؤاد يقطع التوتر، يحاول تهدئة الموقف.

- يوسف... كفاية كده... ذكريات جابر اللي عندك مش لازم تكون حقيقة. ممكن يكون زرع أفكار لتضليلنا، هانسيب حاتم بيه يكمل إجراءاته. وأحنا هانساعده

يوسف يفتح عينيه... يتصبب عرقا رغم برودة الجو،
والتعب واضح عليه، وبصوت متعب

- معاك حق يا دكتور، ممكن يكون تضليل.

يقترب منه فؤاد بحذر دون أن يلمسه

- أنت كويس يا يوسف؟ حاسس بتعب!

أنا بخير يا دكتور... بس حسام بيه، هو اللي مش بخير.

ينطق حسام بصوت أشبه بالهمس.

- أنتو فاهمين... إيه؟ أنا ماليش علاقة بالكلام ده.

يوسف يرد بابتسامة لم تكن ليوسف وحده.

- أحنا فاهمين... إن الدايرة قربت تتقفل.

—✦—

بعد حوالي الساعة ... كانت سيارة د. فؤاد تسير ببطء في طريقها من الزمالك إلى المعادي حيث مكتب فريد منصور المحامي.

يوسف يجلس صامتا، ينظر من النافذة.

لكن فؤاد كان يعرف...أن هذا الصمت ليس صمتا، يوسف ليس وحده. كان يعرف أن هناك حديث أخر يدور في الداخل، في العمق... قال فؤاد بحذر.

- أنت موجود يا جابر؟

لم يجب يوسف. لكن زجاج السيارة من الداخل... ظهرت عليه بقعة من البخار للحظة واحدة... كأن نفسا ليس من هذا العالم مر عليه. ثم قال يوسف بصوت جابر.

- فريد كان عارف أكتر من اللي عرفناه، لكن نعمل إيه، الكتمان في طبعه، كان صعب أوصل للحقيقة.
  مكتبه... فيه اللي أنا عاوزه.

سأله فؤاد:

- تقصد الهدف اللي جاي؟

قال يوسف

- لأ مش أشخاص... أنا عاوز ورق، الورق أهم...
  الورق اللي اتكتب فيه الخطيئة.

توقفت السيارة أمام المبنى الذي يقع فيه مكتب فريد منصور.

المكان الذي شهد بداية المؤامرة... والذي سيشهد انكشافها.

نزل يوسف... بخطوات محسوبة... هادئة... لكنها تحمل شيئًا لم يكن فيه قبل ساعات.

وعي آخر. ليس ثائرا... ولا مندفعا... بل واضحا وحكيما.

نظر إلى المبنى وتعلقت عيناه بلافتة المحامي،

وبصوت لم يكن يوما صوت يوسف.

- كل شيء ابتدا من هنا.

—✦—

خداع

كان دكتور فؤاد لا يزال داخل السيارة ينظر إلى يوسف الذي وقف يدخن سيجارة خارج السيارة.

أسئلة كثيرة كانت تتصارع في رأسه

هل هذا الذي أمامه الآن هو يوسف؟ أم جابر،

توجّه يوسف إلى مدخل المبنى بخطوات متوترة لكنها ثابتة،.

عند باب المدخل، كان هناك شاب صغير، عامل توصيل، يهبط الدرج ويضع خوذته تحت ذراعه، يستعد لركوب دراجته.

حين أقترب منه يوسف ابتسم له ابتسامة بسيطة حياه بهدوء قبل أن يسأله

- مساء الخير... هو مكتب أستاذ فريد في الدور الكام؟

العامل يرد وهو يحاول تشغيل هاتفه.

- والله يا باشا أول مرة أوصل هنا... ماعرفش.

يوسف يهز رأسه:

- ولا يهمك... هسأل أنا جوه. ربنا يعينك على شغلك.

قالها، ورفع كفه ليصافحه.

صافحه العامل بعفوية...

وفي اللحظة نفسها انضغط الهواء حولهما في موجة مفاجئة،

هزت أغصان الشجر، وطردت سرب من الطيور، كان يحتمى بالشجر من ظلمة الليل.

د. فؤاد رأى المشهد، وجحظت عيناه بعد أن فهم ما حدث.

- جــابر!

صرخها من داخل السيارة

عامل التوصيل ثبت نظره على فؤاد للحظة... ثم وضع خوذته على رأسه وقبل ان ينطلق، قال في هدوء، بصوت جابر.

- معلش يا دكتور فؤاد... في مكان لازم أروحه لوحدي. هارجع لكم... لما أكون جاهز.

ثم انطلق بالدراجة... بأقصي سرعة

حينها ضحك يوسف وجثى على ركبتيه، ونظر لفؤاد الذي أستشاط غضباً من ردة فعله، قفز من السيارة وهو يصرخ

- أنت بتضحك يا يوسف، ده هرب تاني!

يوسف لم يتحرك...

ضحك... ضحكة قصيرة... حقيقية جدًا.

- بصراحة ماكنتش متوقعها أبدا، ده بقالة ساعة بيتكلم معايا، وهو في الآخر كان بيجهز للهروب، بالطريقة دي، بصراحة... أنا اتفاجئت زيك.

لسه كان بيسألني هانعمل إيه في مكتب فريد؟

وإنه عايز يجمع معلومات... وفي الآخر...خرج من غير ما يقول رايح فين...

فؤاد يضغط على أسنانه

- طيب هانعمل أيه دلوقتي، نطلع مكتب فريد؟ ندور؟

يوسف يقف... ينفض غبار على بنطاله ...

يمسح ركبتيه، ثم ينظر لفؤاد بنظرة واعية.

- لأ...إحنا ما نعرفش هو عايز إيه من مكتب فريد بالظبط.

أنا رأيي نرجع لحاتم، نرتب أفكرنا... ونكشف كل الورق.

وبينما يوسف يتجه للسيارة...

كان في مكان ما بعيد، دراجة نارية صغيرة تنعطف بسرعة...

تحمل جسدًا جديدًا... وروحًا قديمة... في طريقها إلى هدفاً أخر

— ✦ —

الرجوع لمكتب حاتم

بعد يومين، كان النهار قد أنتصف حين اجتمعوا من جديد، كان يوسف يجلس أمام المكتب، ينظر إلى دخان سيجارته وكأنما يدرس حركاته،

وفؤاد يقف امام النافذة كمن ينتظر فكرة لم تأتي بعد.

أما حاتم... فقد جلس خلف مكتبه، ينهي بنهم ما تبقى من طعامه، يمسح يديه في مناديل ورقية قبل أن يضغط زر جرس الاستدعاء، سرعان ما يدخل عسكري الحراسة، فيأمره بإحضار القهوة، ينظر إلى يوسف بترقب، كما لو كان ينتظر شيئًا يظهر من داخله. ثم يلتفت ببطء إلى د. فؤاد الذي لايزال غارقاً في انتظاره.

حاتم يقطع عليهم حالة التأمل تلك بصوته الحاد.

- أنا محتاج أفهم... إيه اللي حصل معاكم في شقة فريد؟ وبالراحة يا يوسف... لأن كل كلمة هتفرق.

يوسف يتنفس بعمق، يمرر يده على جبينه... كمن يبحث عن الكلمات وسط غبار.

- اللي حصل... مش طبيعي، جابر... كان موجود معانا.

يرفع حاتم حاجبه، نظرة لا هي إنكار... ولا تصديق. ترتسم ابتسامة بسيطة على وجهه.

- أنا كنت حاسس،... كان موجود فين... جوا فريد؟
ولا جواك؟ جوا دماغ مين فيكم؟
يتدخل فؤاد بنبرة خبير علمي، لكنها مهزوزة من العمق.
- اللي شفناه أنا ويوسف لما دخلنا، جابر كان في حالة اندماج
وعي كامل، وسيطرة كاملة على جسم فريد،
كان ممكن يقتله قدمنا بمنتهى السهولة.
خطورة جابر بقيت إنه بيقدر يشارك إدراكه... وذكرياته
مع الجسم المضيف.
وبيزرع أفكار يقدر يخليها كأنها حقايق مسلمة في عقل
المضيف.
ضحكة قصيرة تهرب من صدر حاتم،
ضحكة شخص مش مقتنع لكنه مش لاقي رد منطقي.
- يا جماعة، أنا ضابط. بفهم في الدم، السلاح، الدافع...
مش بفهم في اندماج وعي والكلام ده
أنا سكت بس عشان، كنت عارف أني لو صرحت بوجود
جابر في جسم حد فيكم، حسام كان هايستخدم سلاحه فورا
بدون تردد،

يوسف يرفع رأسه... نظراته مش نظرات يوسف العادية. نظرات من فهم جزء من اللغز، وبهدوء غريب،

- أنا ما كنتش فاهم سكوتك وقتها، بس هو كان متأكد أنك هاتسكت. عشان كده كان واخد راحته في إدائه المسرحي، تحت حمايتك يا حاتم بيه.

تدخل د. فؤاد يزيل الغموض.

- جابر كان بيدور على إجابة. ومستعد يعمل أي حاجة عشان يوصل لها. مش مهم عنده الوقت، ومش مهم عدد الضحايا اللي ممكن يقعوا في سبيل الوصول لهدفه.

اقترب حاتم خطوة، اسند يديه على المكتب، حدّق في فؤاد كأنه يريد أن يرى جابر في عينيه.

- إجابة عن إيه بالظبط؟

يوسف يرد بسرعة... كأن الصوت مش صوته.

- مين قتل مراتي، ومين ولع في بيتي. مين زور تقرير الوفاة بتاع عايدة، ومين ليه مصلحة يقفل القضية بالشكل ده.

ارتجف فؤاد للحظة... حاتم تغير وجهه فجأة. وهو يقول

- هو لسه موجود جواك يا يوسف.

- لا يا حاتم، هو زرع جوايا الفكرة دي، وكأنها بقت قضيتي أنا كمان،

زي ما زرع في فريد الخوف المرضي من الكلام، فريد أصبح خايف ينطق أي كلمة.

- يوسف... إنت بتلمح بتزوير في الأدلة الجنائية وتقرير الطب الشرعي؟ يعني في حاجة غلط في ملف عايدة؟
- مش بلمح... أنا متأكد.
- اللي بتقوله ده... لو صح... معنى كده إن في حد كبير، حد كان عايز يقفل الملف بأي شكل

صمت للحظات.

كان الصمت نفسه يحمل الإجابة، التي نطق بها فؤاد

- حسام غانم، هو الدراع اللي خلصت القضية،

جابر أتأكد من كده، لكن هو دلوقتي عاوز يعرف لمصلحة مين، مين اللي ورا حسام وهو ده اللي بيدور عليه دلوقتي.

حاتم يقف مستقيمًا...

صوت خطواته على الأرض يرن في المكتب.

يوسف يمسح على صدره... كأنه يتذكر ما كان بداخله بالأمس، قبل ان يقول

- جابر... شايف ذكريات... بس مش كاملة.

فيه اسم ناقص. فيه رابط مفقود.

- والاسم ده... هانعرفه إزاي؟

يوسف يرد بلا تردد.

- من الطب الشرعي.

يرفع حاتم رأسه، ينفخ الهواء من صدره... يضرب المكتب براحته.

- لو هانوصل للطب الشرعي... لازم يكون عندنا سبب رسمي... مش هاقدر أدخل على أطباء ومعامل وأقولهم.

عندنا روح بتدور على الحقيقة.

فؤاد يتقدم خطوة

- السبب هو... إعادة فتح ملف جابر نفسه. بعد قتل سهام ممكن نفتح التحقيق من جديد، نربط القضيتين ببعض.

يوسف يكمل، وكأن صوتا آخر يملي كلماته.

- والملف... فيه ايدين كتير كانت بتلعب.

لو واحدة منهم اتكشفت... هاتطلع الحقيقة.

ساد الصمت... ثم قال حاتم ببطء شديد.

- طيب...اسمعوني كويس. أنا هافتح الملف تاني...

بس من غير ما نعمل دوشة. ومن غير ما حد ياخد باله.

نظر إلى يوسف مباشرة.

- وإنت يا يوسف... عاوزك تبعد جابر ده بعيد عن رأسي.

أنا هاشتغل شغلي... اللي بفهمه.

إنت بقى تشتغل بوعيك... او بوعيه. مش مهم

يوسف يرد بابتسامة هادئة... لكنها غريبة

- لو ده في إيدي... هاعمل كده!

تلاقت عيون الثلاثة، كل منهم يرى القضية من زاوية مختلفة.

حاتم يرى قضية فسادة.

فؤاد يرى ظاهرة غير قابلة للتفسير.

يوسف يرى ذكريات محترقة، لا تزال تطلب الدم.

يقول يوسف بصوت خافت... كأن الصوت قادم من آخر غرفة في عقله

- البداية... عند أول إيد لمست الجثة، بعد الحريقة...

يلتفت حاتم بعينه إلى التقارير القديمة على الرف.

هز رأسه، ثم قال

- أخصائي الطب الشرعي

—✦—

قبل الفراق

وقف دكتور فؤاد بصمت، نظر في ساعته، أطفاء سيجارته، التقط مفاتيحه، قبل أنا يقول.

- أنا لازم أمشي دلوقتي حالاً، عندي اجتماع مهم كمان ساعة.

وقف يوسف يتبعه، وبكلمات محسوبة،

- خدني في طريقك يا دكتور، أنا كمان محتاج أرتاح شوية

فتح حاتم ملفا على مكتبه، في إشارة غير مباشرة أن الاجتماع انتهى.

قال دون أن ينظر لأيا منهما.

- تمام، لكن هانكون على تواصل الفترة اللي جايا،

وحين هما بالانصراف، كانت نظراته تتنقل بين ظهر فؤاد وظهر يوسف، ولم ينطق.

كما لو أن وجودهما أصبح فجأة ثقيلاً على قلبه.

فتح يوسف باب المكتب... ثم التفت لثانية نحو الضابط.

- لو وصلت لأي جديد... بلغني يا حاتم بيه.

هز حاتم رأسه. لم يقل شيئا. لكن نظرته كانت تقول.

- أنا هاتابعك... وهاتابع اللي جواك كمان.

خرج يوسف أولاً، لكن فؤاد توقف لحظة قبل أن يغلق الباب، نظر ليوسف الذي أسرع يسبقه في الممر، أعاد النظر لحاتم. وقال بحيرة

- ما بقتش قادر أفهمه.

حاتم بصوت منخفض.

- خليك قريب منه يا دكتور...قريب قوي.

هز فؤاد رأسه... ثم أغلق الباب خلفه.

في الممر... تحرك يوسف بخطوات ثابتة، لم يرمش، كانت عيناه غارق في أفكار لم تقال بعد. أما فؤاد فكان يمشي إلى جانبه... لكن بخطوات أشبه بالمشي على الحبل، بمن يلعب بالنار ويخشى من لمسها.

حين خرجا من باب المديرية، وقف يوسف... لحظات، حتى ركب دكتور فؤاد سيارته، كان على وشك أن يقول شيء.

لكنه لم يكن أول من بدأ الحديث.

- يوسف... إحنا محتاجين نتكلم.

قالها دكتور فؤاد دون تردد، أجابه يوسف ببرود هادئ.

- نتكلم يا دكتور.

ضغط فؤاد شفتيه، مترددًا، وأشار له ليركب السيارة، أنتظر لحظة حتى أستقر يوسف إلى جواره... ثم قال

- من ساعة اللي حصل في شقة فريد... وإنت مش يوسف اللي أعرفه. إنت بتاخد قرارات... بسرعة زيادة عن الطبيعي. وبتجري ورا خيط، ...

ومصدق ذكريات... مش بتاعتك.

يوسف لم يرد، أدار وجهه نحو الزجاج... ينظر إلى الشارع... السيارات... الناس.

فؤاد يكمل.

- أنا مش ضدك... ولا ضد جابر.

بس في فرق كبير بين إنك تساعده... وبين إنك تبقى نسخة منه.

شهقة صغيرة خرجت من صدر يوسف لم يعرف فؤاد.... أهي ضحكة؟ أم غضب؟ أخيرا نطق يوسف بعد أن أخذ نفس عميق.

- إنت شايف إني فقدت هويتي؟ ما بقتش يوسف؟

- أنا شايف إنك...متداخل. مش واضح، بتجري بعقلين في نفس الطريق... وده مش ميزة يا يوسف.

يوسف يرفع عينيه ويلتفت إليه ببطء

- وإيه البديل يا فؤاد؟ أقعد أتفرج؟

أسيب جابر لوحده يشوف الحقيقة من غيري؟

مال نحو فؤاد، بصوت ناعم... لكنه مرعب في هدوئه.

- جابر شاف الحقيقة بعين الألم. وأنا... شايفها بعين الفلسفة
إحنا اتنين... مش متناقضين.

يتنهد فؤاد.

- لأ... إنتو متناقضين جدًا. المفروض إنه شايف دم وأنتقام
... وإنت تكون شايف علم ومنطق.
هو شايف إن أي حد شارك في اللي حصل يستحق يموت.
وإنت تكون شايف إن الناس ممكن تفهم، مش كل جريمة
عقابها الموت، الناس ممكن تتغير، تتحسن... تتوب يا
يوسف

يوسف يقترب أكثر، يهمس

- جابر مش قاتل... جابر مظلوم اتحرق جواه الإحساس
بالعدل. وبيدور على إيد معاه تعدل الميزان اللي مال

تعلو أنفاس فؤاد

- لأ يا يوسف... جابر مش بيعدل ميزان العدل.
ده بيرفع سيف الانتقام، واللي بيعمله مش عدل دي فوضة.
وإنت بطريقة تفكيرك دي، بتقرب منه، بتقرب من نفس
البير اللي وقع فيه.

يسود صمت ثقيل... كلا منهما ينتظر رد الأخر.

يوسف يمسح على ذراعه... حيث كانت العلامة الزرقاء قبل يومين، ولم يعد لها أثرا الآن، يرفع يديه في مواجهة فؤاد.

- أنا مش جابر يا فؤاد. وهو مش جوايا، بس... أنا الوحيد اللي سامعه.

فؤاد بهدوء

- وأنا الوحيد اللي شايفك وإنت بتتغير يا يوسف، المشكلة أنك مش حاسس بنفسك.

الجملة ضربت يوسف في مقتل. لم يرد، هز رأسه وخرج من داخلة صوتا، صوت أفكار جابر الملحة.

- التحقيق لازم يكمل. بسرعة

فؤاد بلهجة حاسمة.

- بسرعة؟ ... ولا برغبة الانتقام اللي سبها جواك؟

يوسف يضيق عينيه.

- انت خايف... إن جابر يكون بيتحكم فيا؟

- لأ... أنا خايف... إنك تكون أخترت تساعده، تمشي في سكته.

تجمد يوسف. ثم قال بصوت منخفض... بصوت كله تحدي

- لو مش هاتكون معانا... ما توقفش قدامنا.

ترتفع عين فؤاد... وفيها جرح أول مرة يظهر.

- أنا مش ضدك يا يوسف...أنا جنبك ومعاك

بس مش جنب جابر.

يوسف يرد بنبرة فيها ظل قديم، ظل شيء آخر.

- الفرق... بينا كبير يا فؤاد. أكتر مما كنت فاكر.

ثم يغادر... السيارة بخطوات ثابتة... لا ينظر خلفه، كأنه قد اتخذ القرار.

ظل فؤاد ينظر له، شعر أن جسد يوسف يبتعد أسرع من خطواته... وأن هناك ظلا أخر يتبعه ظلا لا ينتمي له.

—✦—

في الداخل

عاد يوسف إلى شقته بعد حديثه مع د. فؤاد.
الرجوع كان بطيئًا... مُثقلاً... كأن الطريق نفسه لا يريد له الرجوع. فتح باب الشقة، ودخل دون أن يفتح النور.
ترك الباب يغلق خلفه بهدوء، ثم وقف في الصالة... ساكنا... كما لو أن المكان تغير أو أنه لا يشعر بنفسه داخله.
خلع حذاءه... جلس على طرف الأريكة...
مرر يده فوق وجهه، يمسحه، كأنه يتأكد من حقيقة وجوده.
رفع ساعده حيث كانت العلامة الزرقاء تشتعل فيه قبل يومين.
همس لنفس.

- أنا كويس... مفيش حاجة.

الهدوء كان مريبًا.
ثم... جائه صوت من الداخل، صوت ندى

- يوسف إنت جيت.

تحامل على نفسه لجيب على ذلك السؤال الوجودي، وفي داخله يتردد، صدى السؤال

- هل فعلا أنا أتيت؟

قبل أن يجيبها بود وهو يتجه نحو الغرفة،

- أيوه يا حبيبتي، أنا كنت فاكرك نايمه، ما كنتش عاوز أزعجك
- قلقتني عليك. مفيش تليفون واحد من الصبح تطمني عليك،

أقترب يقبل رأسها، يسترضيها،

- معلش بقى الشغل الجديد. هابقى احكي لك كل حاجة بعدين، بس دلوقتي انا واقع من الجوع، عمله لينا ايه غدا

قامت ندى مسرعة وقالت له دقائق وهيكون الأكل جاهز.

بمجرد خروجها

شرد يوسف ببصره للحظة، قبل أن يتبعها، جلس ينظر لها وهي تعد الطعام.

ارتعاشه خفيفة... مثل رفة جناح داخل عقله.
كأن موجة كهرباء مرت خلف عينيه. رفع رأسه بسرعة. ونطق بصوت خافت

- جابر؟ أنت لسه هنا؟

لم يجب أحد... لكن الهواء تغير.

دخل نسيم خفيف من شباك المطبخ المفتوح، حيث تقف ندى تحركت الستارة حركة خفيفة... ثم سكنت، لكن الهواء تحرك بكثافة حتى ضرب وجه يوسف، بنسمة لطيفة

حركة غير بشرية، تشبه حركات وعيا قديم كانت مألوفة ليوسف قبل أعوام، وعيا قام بخطوة للتو لم يشارك فيها يوسف.

يوسف وقف فجأة. تحرك إلى غرفة النوم وأغلق الباب خلفه، وبصوت لم يتجاوز حلقه

لو سامعني...اطلع، ما تستخباش جوايا.

صمت، ثقيل لحظات، بعدها سخونة في الهواء من حوله.

ثم بدأ يشعر بدوار بسيط... ثم صدى صوت...
كلمات، خرجت لا من فم يوسف... ولا من أي مكان في الشقة...

صوت مألوف طالما سمعه لسنوات منذ الصغر، لكنها غابت عنه منذ شهور.

- جابر مظلوم يا يوسف كنت لازم أساعده

تجمد يوسف. حدق في الفراغ، كأنه يتأكد أنه لم يتخيل. ينتظره أن يكمل لكن الصوت لم يعد يرد.

رجع يوسف خطوة للخلف، اصطدمت قدمه بالسرير،
كأن جسده فقد اتزانه للحظة.

ثم... أحس بها. خطوة ليست له. ليست من جسده.
كأن أحدًا بداخله تحرك للأمام، وتجسد أمامه

شهق يوسف،
وضع يده على صدره بقوة... يحاول أن يلتقط أنفاسه.

يوسف بصوت متقطع
- ما تعملش كده، أحنا فيه بنا أتفاق، ما تظهرش، وما تتكلمش

صوت خافت، كأنه ليس صوتا بل ظل الصوت

- مفيش وقت للكلام ده، أنت هتنام دلوقتي. وما تقلقش... أنا مش هابقى هنا لما تصحى.

وقع الكلام على يوسف كرصاصة صامتة.

- هتروح فين؟
- جابر... جابر محتاجني.

حاول يوسف التكلم لكنه شعر بالعقل ينطفئ ...
النفس يتثاقل...

وقع جسد يوسف على السرير، آخر ما سمعه قبل أن يغيب...

ليست كلمة. بل صوت

حركة سريعة، حركة خروج واعي، يمتلك حكمة وتجارب أجيال... انسحب الضوء من عيني يوسف...

وعندما نادته ندي

- يلا يا يوسف الأكل جاهز

كان يوسف يغط في نوم عميق

—✦—

الوجه القبيح للحقيقة

قبل أسبوع كانت الساعات الأولى من النهار ترسم ظلالاً طويلة لكل شيء في المدينة، إلا مبنى مصلحة الطب الشرعي؛ بسوره المرتفع، وبوابته الحديدية، كان ظله قزماً، لا يكاد يبتعد عنه متراً واحدا. وفي الداخل كان حارس لا يزال غارقاً في نعاس ثقيل.

توقف عامل التوصيل بدراجته النارية جوار السور، ونزل بهدوء يحمل أكياس طعام خفيفة. تحدث العامل بصوت يملؤه الود المصطنع.

- صباح الفل يا أسطى.

تمتم الحارس وهو يمسح وجهه بعجالة.

- خير يا كابتن، عاوز حاجة؟

اقترب العامل، مد يده بكيس طعام.

- أتفضل، السندوتشات دي. ناس أهل خير، طالبين مني أوزعها بدري عشان تكون فطار قبل ما تلحق تشتري من بره.

خرج الحارس يمد يده يتناول الكيس.

- ربنا يكرمهم جم في وقتهم.

قبل أن ينصرف الشاب، سأله بهدوء.

- في حد معاك تاني هنا؟
- أيوه، زميلي جوه بس مريح شوية.

أعطاه كيساً آخر ولوح له منصرفاً. مد الحارس يده يلوح له بالشكر، وكانت تلك اللمسة كافية. أهتز الهواء وكأنها هبة ريح مفاجأة محملة بالأتربة، على أثرها رفع الحرس يده يحمي وجهه من الهواء المحمل بالتراب، كان على ساعدة يتشكل خط أزرق كنقطة حبرا سقطت في كوب ماء

—✦—

لم يستطع جابر الحصول على أسم من عقل فريد، كان عقله منظم بطريقة مرعبة، كل ما أستطاع معرفته من فريد، أسم حسام حين حدثه بالموبايل، وأنه يحتفظ بأوراق، ومستندات، وتسجيلات، تحميه من موكليه، زوي الماضي الغير شريف،

كورق ضغط إن أحتاج إليها ضدهم.

كان يأمن نفسه إن ساءت الأوضاع.

أضطر جابر أن يقوم بالأمر بطريقته القديمة، المحاولة والخطأ ثم تكرار المحاولة دون ملل، حتى النجاح

بعد قرابة الأسبوع من التنقل بين العاملين والممرضين، والأطباء وصل جابر إلى هدفه.

دكتور نبيل حلمي، أخصائي الطب الشرعي.

بعد أن تأكد من إنه هو المذنب، وهو المسؤول عن تشريح جثة نادية وكتابة التقرير المزور عن طريقة الوفاة قبل الحريق.

تبقى أن يجد الشخص مناسب كأداة للاستجواب،

سرعان ما وجده، كان طارق، زميل نبيل في العمل، وصديقه المقرب، وشريكة في معظم مخالفاته. فهما يكونان ثنائيا من الفساد

خطط جابر للعملية بمنتهى الهدوء، أختار الوقت المناسب، وردية سهر ليلي تمتد للصباح،

الساعة قد تخطت الثانية صباحاً. كان نبيل منهمك بكتابة تقاريره الفاسدة

يجلس الآن طارق خلف مكتبه الضخم. يده ترتجفان لحظة قبل أن تعاود الثبات، تغيرت نظرته، أصبحت أكثر قصوة

حين قام بتمرير أصابعه ببطء على زجاج سطح المكتب، كان يتبع أصابعه توهجا بلمعة زرقاء خفيفة، وكأنه يرسم على الرمل، بهدوء يفتح الدرج العلوي ويخرج منه محقن، يحتوي على مخدر الـGHB . قد أعده مسبقا، بدون وعي من طارق، أو ربما من وضعه كان نبيل، لا يهم فقد أستخدم جسديهما لأيام.

يقترب جابر في خطوات ثابته، بلا تردد، يدير ساعده حول عنق نبيل من الخلف، يشل حركته على المقعد، ويغرس المحقن في وريده بثبات، يفرغ كامل محتواه، في عروق نبيل.

تخرج من نبيل صرخة ألم، لم تتخطى حدود الغرفة، قبل أن يشعر بخدر، يمشي في عروقه.

- أنت بتعمل إيه يا طارق.

قالها نبيل غير مصدق لما يحدث.

تحدث جابر بصوت هادي، يخرج من أعماق صدر طارق

- لأ ما هو أنا مش طارق دلوقتي...

متخفش، الحقنة مش هاتموتك، دي هاتساعدنا نتكلم بصراحة

- أنت مين؟

قالها نبيل مذعورا

- أنا جابر الاسيوطي، فاكرني

فاكر التقرير يا نبيل، التقرير اللي كتبته عن مراتي. عايدة؟

الطبيب يبتلع ريقه بصعوبة، يراهن على التمسك بالنفي

- أنا... ما عرفش حد، أنا بشوف شغلي وبس

حمله جابر دون عناء وكأنما يحمل طفلاً صغير، وضعه على منضدة التشريح،

كان المخدر الذي حقنه به من النوع الذي يشل الحركة ولكن لا يسلب الوعي.

جابر يقترب خطوة، عيناه تضيئان بوهج مرعب.

- الحقيقة، قول لي الحقيقة كاملة... قبل ما أفتح دماغك بإيدي.

انهار الطبيب، وبدأ يتنفس بسرعة جنونية.

- الحقيقة...؟ حاضر... هقولها.

رفع الطبيب رأسه، والاعتراف بدأ يتدفق كنزيف.

- هي... ماكانتش مضروبة بسكين، ومفيش طعنات....
ومكاناتش حامل كمان.

تجمد جابر في مكانه. الصمت الذي سكن جسد طارق كان أعنف من أي صرخة يمكن أن تخرج منه.

الطبيب أكمل بصوت منكسر.

- كانت... إيديها مربوطين... ورجليها بأفيز بلاستيك... وكان فيه أثار كدمات... نتيجة ضرب على الوجه... مش خناقة.
وفي الغالب قبل الحريق بساعات.

جابر يهمس، وصوته يرتجف في الحنجرة

- مربوطة، ومش حامل، وضرب على وشها

الطبيب يهز رأسه بيأس.

- قبل الحريقة كانت سليمة... ما عرفتش تفك نفسها،
وتهرب، هي ماتت مخنوقة من الدخان، قبل النار ما تحرقها

جابر يضع يده على الجدار، يمنع جسد طارق من السقوط، ويستجمع آخر ما تبقى من إرادته.

- مين قالك تغيّر تقريرك الحقيقي؟

الطبيب يتمتم بصوت خافت، يرتجف من الخوف والذنب.

أمر جالي، المطلوب كانوا عايزين الجريمة تبان غضب زوج...

قضية شرف.

قتل مراته لما عرف خيانتها ليه وإنها حمل من حد غيره.

وبعدين حريق... يقفل الملف.

جابر يرفع رأسه ببطء. عيناه تلتمعان ببطء مرعب

- مين... جالك؟

الطبيب، بخوف وبصوت يخرج من بين أسنانه، أطلق الاسم

- جاسر... جاسر أخوك.

الاسم يسقط كاللعنة. جابر يزئر، بصوت ليس بشري.

- مستحيل أنت كداب، ...

— ✦ —

الجثة الحية

كانت ساعات النهار الأولى، لا تسمح لأشعة الشمس أن تبسط دفئها، الجو باردا أكثر من المعتاد في مثل هذا الشهر من السنة.

وصل العقيد حاتم عوني أولاً إلى مصلحة الطب الشرعي، ووجهه يعكس مزيجاً من الغضب والارتباك. لم يكن يتوقع أن تتجرأ أي قوة مهما كانت خارقة على دخول هذا المكان تحديداً.

وعندما دخل غرفة التشريح. كان الجو رطباً خانقا، ضوء النيون البارد يرتجف فوق منضدة الفولاذ، ينعكس في مشهد يصرخ بالكآبة. الغرفة التي كانت حصناً للحقيقة، أصبحت للتو مسرحاً لجريمة.

كان جسد الدكتور نبيل ملقى على طاولة التشريح، لم يكن قد فارق الحياة بعد، كان هناك محلولاً ما، معلق بذراعه، وكان صدره مفتوحا بخبرة جراح، تشريح وعيناه مفتوحتان تدور في المكان، تعكسان رعباً لا يمكن وصفه، وكأنه شاهد على جريمة قتله الخاصة.

إلى جواره كانت أعضاء من جسده الداخلية، تم استأصلها ببراعة، بيد خبير، تم وضعها داخل عدة صناديق،

حاتم لم ينظر إليه كضحية، بل كقربان تم تقديمه لأرضاء كيان غاضب.

حاتم بعصبية مكتومة

مين كان أداة الجريمة، المرة دي؟!

يقترب الرائد بهاء منه، وبصوت يحمل كثير من الاشمئزاز

- القاتل يا فندم هو زميله، دكتور طارق، لكنه مأنكرش، الجريمة، هو بيقول كان فيه صوت في ودنه قاله يعمل كده.

، يشرح نبيل وهو حي.

- مكانش فيه مقاومة من نبيل

أشار بهاء إلى طاولة عليها أكياس الأدلة التي جمعها فريق البحث الجنائي، قبل أن يقول بهمس

- نبيل تم حقنة بمخدر الـ GHB والمخدر ده، يا سيادة العقيد، بيشل الجسم بس بيسيب الوعي.

نبيل... شاف كل حاجة. وسمع كل حاجة.

تحرك بهاء وأشار إلى ساعد نبيل الأيسر وأكمل كلامه.

- فيه حاجة غريبة هنا يا فندم.

. كانت العلامة الزرقاء متوهجة على الجلد، ولكن ليس كحرق سطحي، بل كوشم تحت الجلد. كانت العلامة أوضح وأعمق من أي مرة سابقة.

— ✦ —

طلاسم

كان يوسف زهران والدكتور فؤاد يقفان عند المدخل، قبل أن يسمح لهما حاتم بالدخول بصفتهما المستشارين في الجرائم المعقدة، والقادرين على فهم ما يجري.

فؤاد بصوت يرتجف وهو يرى مسرح الجريمة،

- ده مش مجرد قتل... ده كأنه طقس، زي تقديم قربان واضح إن جابر أكتسب خبرة، أكبر مما نتخيل، مش بس خبرة التشريح، اللي ممكن تكون من وعي دكتور طارق، لكن فلسفة العقاب، أظن أنه بقى على تواصل مع كيان تاني، كيان أقدم منه وأكثر خبرة

قالها وهو ينظر ليوسف.

لم يعلق يوسف، لكنه أشار إلى العلامة، رفع د. فؤاد عينيه نحو إشارة يوسف، فلاحظ شيئًا أغرب. على حافة لوح التشريح، كان هناك رسم بسيط... رسم دائرة بداخلها نجمة خماسية معكوسة، وتحتها كلمات مكتوبة بدم جاف، قرأها فؤاد.

- نتقابل في المحكمة.

حاتم ينظر إلى الرسم بغضب.

- ده إيه الهبل ده؟! طلاسم؟

يوسف وهو يمد يده ببطء نحو حافة الطاولة

- لأ يا سيادة العقيد. دي مش طلاسم... دي إشارة.

جابر مكانش عاوز يقتل نبيل بسرعة. قد ما كان عاوز يعرف اللي خباه أو زوره. كان استجواب بطيء

مسح يوسف حافة الطاولة بنظره، ثم تتبع رأس النجمة، كانت تشير نحو طاولة جانبية وضع عليها أدوات تشريح. وفوق منشفة بيضاء، وجد يوسف شيئاً أخر لا ينتمي لهذا المكان.

كان قرص تخزين رقمي USB ملوث بالدماء،

أرتدي يوسف قفازاً في يده قبل أن يلتقط القرص ويقول وهو يرفعه، ونبرته ترتفع بالإدراك

- أتوقع أن الفلاشة دي عليها معلومات كان نبيل مخبيها.

نظر له حاتم بغموض، لكن نظرة يوسف كانت مثبتة على القرص. وكأنه يقرأ محتواه.

- نبيل كان مجرد أداة لتغيير تقرير الطب الشرعي. لكن مين اللي أداله الأمر؟

كان القرص بين يدي يوسف، يعكس ضوء النيون، وكأنه يضيء بوميض خافت.

نظرة د. فؤاد كانت تقيم الموقف، فبرغم اعتراف الجاني، لكن جابر قد ترك عدة بصمات.

العلامة الزرقاء، والنجمة المقلوبة، والآن... مفتاح صندوق الأدلة الحقيقي. همس فؤاد لحاتم

- لازم نشوف اللي على الفلاشة دي يا حاتم... فوراً!

لو عليها معلومات زي ما يوسف بيقول، ده هايكون دليلنا المادي الوحيد على مين العقل المدبر اللي ورا قتل عايدة وتزوير التقرير.

حاتم يلتقط القرص من يوسف، وعيناه تضيئان

- لأول مرة... حاجة مادية نمسكها.

— ✦ —

لقاء أخوي

تلك الليلة كان المطر يسقط بلا هوادة، امتلأت الشوارع بالمياه، وأستمر المطر لمدة أطول من المعتاد، وكأنه يحاول غسل ذنوب المدينة، أو ربما إغراقها.

فوق سطح المبني الذي يسكن به جاسر الأسيوطي، كان هناك ظلاً يتحرك بخفة قط، يربط حبلاً في عمود خرساني بمهارة لا يمتلكها سوى المحترفين.

بعد دقائق كان قد نجح في دخول الشقة، لم يفتح الباب، انزلق الجسد الرياضي عبر الحبل، وهبط إلى شرفة الشقة بخفة مذهلة، ومنها إلى الداخل.

لم يكن جابر هو من يتحرك، بل جسد، سيد مفتاح.

هجام محترف، قضى عمره يتسلل للبيوت ليسرق، لكنه الليلة يتسلل ليساعد. كان جابر قد التقطه صدفة حينما كان يتنقل بعشوائية بين الأجساد أثناء فتره تدريبه،

قرأ تاريخه بلمسة واحدة. تعرف على تاريخه الاجرامي كله.

لقيط، نشأ في الشوارع، يحمل غضباً دفيناً على دنيا لم تعطه شيئاً.

لديه سجل حافل بالعديد من عمليات التسلل والسرقة،

يملك القدرة على اقتحام أصعب الإمكان وأكثرها تأميناً والخروج بنفس الخفة.

كان لصاً قد أفرج عنه أخيراً، لم يكن تائبا كما يدعي لكنه كان يجيد تمثيل الدور جيدا.

تلاقت إرادة سيد مفتاح،

الراغبة في خدمة العدالة ولو لمرة واحدة، مع إرادة جابر.

أرد أن يكون يدا للعدالة عن اقتناع.

داخل الشقة، استقبلته الرائحة قبل الرؤية.

كان الظلام تفوح منه رائحة رطبة، ربما رائحة البول أو العفن،

ورائحة أخرى كان يعرفها جابر جيداً...

رائحة الموت.

كانت الشقة التي يعرفها جابر ويتذكرها جيدا، ليست كالتي دخلها، حتى إنه، انتابته الحيرة للحظات.

فلطالما كانت شقة جاسر مضيئة نظيفة، صاخبة حيث كان يجتمع جاسر بها مع أصدقائه دائماً.

تلك الاجتماعات التي كانت سببا في ابتعاد جابر عنه في الأعوام الأخيرة،

كان جابر قد حاول أكثر من مرة أن يمنعه من تعاطي المواد

المخدرة، حتى إنه في احدى المرات أدخله للمصحة عنوة. ليعالجه من إدمان تلك السموم،

لكن جاسر لم يكن لديه الاستعداد، كان دائما ما يعود أسواء مما كان.

عندما دخل جابر الشقة تلك الليلة، في جسد مفتاح

لم تكن الشقة كما يتذكرها، بل كانت مسرحاً لضياع إنسان.

ملابس متسخة ملقاة بإهمال، علب دواء فارغة، وظلال رمادية تبتلع الأركان.

وغرفته لم تعد غرفة للنوم، بل كانت مقبرة مفتوحة.

زجاجات مياه غازية وعلب طعام فارغة، أعقاب سجائر محترقة، بقايا حياة... كانت يوماً ما، لجاسر الأسيوطي.

في الزاوية، حيث ينكسر ضوء القمر الخافت القادم من النافذة، كان جاسر يفترش الأرض.

جسده الهزيل ينكمش على نفسه في وضعية الجنين.

وبجانبه الحقنة التي أفرغها لتوه في وريده المتهالك.

على ساعد جاسر كانت هناك علامات كثيرة،

لم تكن العلامة الزرقاء تتوهج كعلامة الانتقال،

بل كانت علامات باهتة، زرقاء وبنفسجية، كلا منها يحمل أثار حقنة في وريده، تمنحه لحظة من النشوة، وتسلبه عاماً من الحياة.

حين رأى جابر أخوه بهذا الوضع،

ذهب عنه غضب الأخ الذي جاء ليعاقب،

وحلة في روحه رحمة الأب.

اقترب جابر بخطوات ملهوفة، وتجاهل ابتلال ملابس مفتاح. نسى إنه في جسدا غريب، جثا على ركبتيه.

رفع رأس أخيه الملقى على الأرض بحنان لم يعهده في نفسه منذ زمن، وضمه إلى صدره.

كان وجه جاسر شاحباً بلون الثلج، وعيناه معلقتين بالسقف، وصدره يعلو ويهبط في حشرجة الوداع.

خرج الكلام من حنجرة سيد مفتاح، لكن بصوت جابر الذي يعرفه أخوه جيداً.

جاسر؟ ... أنت سامعني يا أخويا؟

وكأن نداء الأخوة كان الخيط الذي أعاد روح جاسر للحياة، تحركت حدقتاه بصعوبة نحو مصدر الصوت، وابتسم ابتسامة واهنة، مد يده يتلمس وجه مفتاح ويبتسم.

وكأنه قد أدرك وجود جابر

جابر؟ ... إنت جيت بجد؟ ... كنت خايف أموت لوحدي،

سامحني يا جابر أنا كنت السبب في اللي حصلك.

تأكد لجابر إن جاسر لم يعد يرى بعينه، بل يشعر بوجوده بقلبه

أنا جيت يا جاسر... جيت ومش هاسيبك تاني، هاوديك المستشفى وهاتبقى زي الفل... قوم معايا، كان لازم ألحقك قبل ما...

أرتعش جسد جاسر كالمذبوح،

فاختنق صوت جابر. وتوقفت الكلمات في حلقه.

حاول جاسر أن يبتسم رغم الألم وهو يصارع لخروج الكلمات.

مفيش وقت يا جابر... أنا خلاص بموت... متزعلش يا جابر، الموت رحمة للي زيي.

مين عمل فيك كده؟ ... مين وصلك لكده يا جاسر؟

انتفض جسد جاسر، وبدأت الكلمات تخرج منه متقطعة، لاهثة، كأنه يلفظ روحه مع كل حرف.

حسام... حسام غانم.

كل لما كنت بتمنع عني حاجة... هو اللي كان بيديني... المخدرات، الفلوس ...

كان عارف إني ضعيف... استغل ضعفي وخوفي منك...

عشان يكسرك بيا.

أخذ شهيقاً دخل صدره بصفير طويل وبدت على وجهه أقصى علامات الألم.

- أنا اللي اديته نسخة من العقود... وزورت امضتك، ...
لما عرف انك هاتكشف التزوير...
أتفق مع فريد المحامي بتاعك ...
يجبله كل العقود... الاصلية اللي عنده في المكتب،
ولما انت قلت لفريد أنك عندك ورق يوديهم في داهية...
وهددتهم تفضح التزوير بتاعهم،...
قرروا يخلصوا منك بأي تمن.

شعر جابر ببرودة تشل أطرافه. الضربة لم تكن في ظهره، بل كانت في قلبه. لقد استخدم حسام غانم أخوه خنجرا لذبحه.

لم يكن جاسر خائناً في عين جابر الآن. بل كان فريسة .

حاول جاسر أن يكمل، وعيناه تفيضان بالدموع والرعب كان يصارع أنفاسه الأخيرة، يده الباردة تتعلق بقبضة سيد مفتاح بضعف.

يوم الحريقة... عايدة شافتني معاه... كان بيدور في مكتبك على...
الأوراق... اللي انت قلت لفريد إنها عندك...
حسام كتفها، ... ربطها على الكرسي وضربها...

لحد ما خلها تفتح الموبايل بتعاه...

باعتلك من موبايلها رسالة وكان مستنيك تيجي،

وأنا... أنا وقفت أتفرج... كنت خايف منه... كنت جبان يا جابر....

ما كنتش قادر أقف قدام جبروته.

بكى جاسر، بكاء الطفل العاجز، وشهقاته تتسارع،

كانت دموعه تنهمر بلا توقف.

- قالي مش هيأذيك... هايخد الورق بس... ضحك عليا... سامحني يا أخويا... سامحني... أنا ما كنتش عاوزها تموت... والله ما كنت عاوز كل ده يحصل.

لم يشعر جابر بالغضب من أخيه، بل شعر بقهر يهد الجبال.

ضم رأس أخيه لصدره بقوة.

مسح جابر دموع جاسر وهو يضمه إلى صدره.

- مصدقك يا جاسر... مصدقك يا حبيبي... أنت ضحية... أنت زيك زيها. حسام غانم قتلك قبل ما يقتل عايدة.

لكن عمري ما هاسيبك تاني... أنا لازم ألحقك قبل...

همس جاسر وعلى وجهه ابتسامة باهتة، مؤلمة أكثر من البكاء.

- خليك جنبي يا جابر... أنا دلوقتي مرتاح وانت معايا... مفيش خوف... مفيش وجع.

اختنقت الكلمات في حلق جابر. كيف يخبر أخاه أنه وصل متأخراً؟ أن ملك الموت قد سبقه بخطوة؟

انتفض جسد جاسر انتفاضة خفيفة، ثم همس بآخر ما تبقى لديه من طاقة.

- سامحني يا جابر... سامحني يا أخويا.

ثم سكن جسده.

خرج الزفير الأخير طويلاً، حاملاً معه سنوات العذاب والضعف. انطفأ الضوء في عينيه، وثقلت رأسه بين يدي جابر .مات جاسر الأسيوطي. ومات معه آخر خيط لجابر بالإنسانية.

— ✦ —

ظل جابر جاثياً مكانه للحظات، والزمن متوقف.

وضع رأس أخيه برفق على الأرض، ثم أغلق له عينيه .

حين رفع جابر يده، كان الخط الأزرق على ساعده، يتحول لونه من الأزرق الفاتح إلى الأزرق الداكن، قبل أن يميل للسواد، يتوهج بعنف، وكأنه شرارة كهربائية خرجت عن السيطرة .تحول الحزن داخله إلى شيء آخر.

شيء صلب، بارد، وقاس تحول إلى **حكم واجب النفاذ**

وقف ببطء، ومسح وجه من دموعا كانت تنهمر من عينيه. نظر إلى جسد أخيه، نظرة وداع أخيرة. ثم تحول بصره نحو النافذة، نحو المدينة التي يختبئ فيها حسام غانم .تغير صوته. لم يعد صوت جابر الأخ، ولا صوت مفتاح اللص.

خرج الصوت خشناً، مرعباً، كأنه حكم بالإعدام، صوت الانتقام

- مش هاتموت يا حسام... الموت راحة، وأنت ما تستحقش الراحة. أنت هاتتمنى الموت... ومش هاتطوله.

لم يعد جابر يبحث عن العدالة تلك الليلة،

فقد انتهى زمن العدالة... وبدأ زمنا أخر... كان جابر الآن يبحث عن الجحيم لأعدائه

فك شفرة الظلم

في غرفة تقنية معزولة في مبنى مديرية الأمن.

كانت الغرفة صغيرة، تملؤها شاشات كمبيوتر تنير وجوه الحاضرين باللون الأزرق البارد. جلس حاتم بجسده الضخم على كرسي بلاستيكي صغير، وعيناه لا تفارقان الشاشة الرئيسية.

بجانبه، وقف يوسف والدكتور فؤاد، حول ضابط شاب متخصص في تكنولوجيا المعلومات يدعى مازن،

وضع مازن قرص التخزين USB الذي وجده يوسف في الجهاز.

مازن بعصبية

- فيه مشكلة يا فندم. الفلاشة متشفرة

يوسف يتدخل بهدوء

- هانحاول نستنتج كلمة المرور

فؤاد متأملاً

- يمكن كلمة المرور مرتبطة بشيء عاطفي عند جابر، أو تاريخ معين؟

مازن وهو يحاول فك شفرات الحماية

- جربت تاريخ ميلاده، وتاريخ ميلاد مراته وأولاده، جربت كل الأرقام، كلمات المرور القياسية. مفيش فايدة، محتاجين حاجة ليها علاقة بالهدف الأساسي.

التفت يوسف ونظر إلى حاتم ببطء.

- إيه هو الشيء اللي ممكن يربط الملفات بقضية جابر؟

حاتم بصوت أجش

- براءة جابر.

- لأ مش بالنسبة لجابر، الفلاشة كانت مع نبيل هانفكر من وجهة نظر نبيل

حاتم بدون تفكير

- نبيل لسه فيه الروح، لما يفوق نسأله.

يدور دكتور فؤاد حول نفسه ويتكلم بصوت العقل

- لو نبيل يهمه يخفي الملفات مش هايفكر في جابر، لازم يكون الباسورد، كلمة سهل هو يفتكرها... كلمة بتوصف حالته النفسية بعد ما خان ضميره.

لمعت عيناه وهو يقول:

- جرب تكتب **ضمير ميت**.

مازن يشك في البداية، ثم يطبع الكلمات بالعربية كاملة

- لحظة يا فندم... فيه حاجة بتحصل...

توهجت الشاشة بلون أخضر، ثم انفتحت مجلدات سريعة. ظهر مجلد منهم مكتوب عليه: Backup 2017-Aida.

ساد صمت مطلق في الغرفة. ضغط مازن على المجلد، وظهر أمامه ملف PDF بعنوان سري للغاية.

حاتم يتقدم خطوة، يكاد يلتهم الشاشة بعينيه

- افتحه!

مع فتح الملف، بدأ يوسف يقرأ بصمت الكلمات المفصلية في التقرير الأصلي للدكتور نبيل. صورة ضوئية لتقرير بخط اليد تم حفظها بالملف الرقمي. يوسف بصوت يرتجف

- التقرير الأصلي... بيقول إن الوفاة تمت بسبب الاختناق، مش الحرق. إيديها...

يصمت يوسف، كان يشاهد ذكريات زرعها جابر في عقله.

- إيديها ورجليها كانوا مربوطين بأحزمة بلاستيكية.

أشار مازن إلى أسفل التقرار، حيث كان هناك ملاحظة بخط مختلف بتاريخ لاحق، بعد تاريخ توقيع نبيل.

كانت الملاحظة في الهامش بخط يد، تم تصويرها بوضوح وبجانبها التوقيع.

- يعدل فورا طبقا لتعليمات سيادة المستشار.

حاتم يصرخ بغضب مكتوم

- المستشار مين؟ مين سيادة المستشار ده؟!

تحت التقرير، كان هناك مجلد واحد متبق بعنوان 17 - Order.

فتحه مازن. ظهر ملف أخر يحمل عنوان

تفريغ محضر اجتماع - 2017/3/19.

ده محضر اجتماع كان بين نبيل... و...

يقوم مازن بتكبير صورة الخطاب على الشاشة، تتوقف أصابعه وهو يقرأ الاسم. فؤاد يهمس بذهول

- مين؟

مازن يرفع رأسه يلتفت لهم، عيناه مصدومتان.

- المستشار عادل وهبة.

قال حاتم مستنكراً وهو لا يكاد يصدق نفسه

- عادل وهبة رئيس دايرة الاستئناف اللي رفضت طعن جابر. واللي أصدرت الحكم النهائي.

شعر يوسف بارتفاع حرارة مفاجئ، ورعشة في ساعده الأيسر. لم تكن هناك العلامة زرقاء موجودة، فمنذ مغادرة جابر له لم يعود إليه مرة أخرى.

لكنه كان يسمع صوتا داخله، صوت أقدم من صوت جابر مألوف له ولنا أكثر،

صوت داخلي عميق، كثيرا ما كان يتردد في وعي يوسف، لكنه هذه المرة كان يتكلم بانتصار بارد ومظلم.

- قولت لك يا يوسف جابر كان معاه حق، وكان لازم نساعده. أنا كنت صح.

انتقلت الرعشة من الساعد إلى صدر يوسف. كان هدف جابر الثالث والأخطر قد تم تحديده. المستشار عادل وهبة.

المستشار الذي كان يفترض به أن يكون قمة العدالة.

لاحظ د. فؤاد رعشة يوسف، وضع يديه على كتفه وقال له

- أنت كويس يا يوسف.

يرفع يوسف نظره إلى الشاشة ببطء، وفي عينيه الآن خليط من خوف يوسف، وغضب جابر، وبصوت يحمل كل اليقين.

- عادل وهبة هو الهدف دلوقتي، جابر مش هايسيبه.

حاتم ينظر إلى يوسف، وقد أدرك خطورة الموقف

- احنا لازم نوفر له حماية فورية! ده مش شخصية عادية. ده رمز من رموز العدالة.

يوسف بصوت واهن

- فات الأوان يا حاتم... جابر بدأ التحرك فعلاً، هو عارف من قبلنا، مفيش حاجة ممكن توقفة.

تبدلت نظرات د. فؤاد من الحيرة إلى القلق وهو يقول

- هل يحق لجابر الحكم على رمز العدالة؟

— ✦ —

سيادة المستشار

في مكتب المستشار عادل وهبة. كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة صباحا.

كان المستشار عادل وهبة، رجل في الستينيات، ذو مظهر أنيق، يجلس خلف مكتبه الخشبي الضخم المرصع بالنحاس على التراز الفرنسي، وخلفه ميزان العدل المعدني اللامع. يزين الحائط، كان يفرك أصابع يده اليسرى باستمرار. وهو ينظر إلى لضيوفه وعلى وجهه الشاحب ظهرت علامات القلق.

وقف العقيد حاتم عوني بجوار الباب، وخلفه ضابطان بملابس مدنية.

يوسف والدكتور فؤاد يجلسان مقابل المستشار، لا يريانه رمزا للعدالة،

بل الهدف التالي لموت وشيك.

حاتم بعينين لا ترمشان رغم معناته من قلة النوم.

- يا سيادة مستشار، المعلومات اللي على الفلاشة متطابقة مع اعتراف نبيل.

أنت أمرت بتعديل تقرير عايدة، عشان تحمي مين؟

المستشار وهبة بصوت يرتجف

- أنا... أنا مش فاهم حاجة.

مين جابر ده؟ وإزاي كل ده بيحصل؟ أنا بحاول أستوعب إن فيه روح واحد ميت... بتلاحقني بسبب قضية قديمة!

حاتم بعصبية مكتومة

- ما عندناش وقت للشرح يا سيادة المستشار. المعلومات اللي على الفلاشة واضحة نبيل غيّر التقرير بناء على تعليمات سعادتك.

المستشار وهبة ينتفض

- كذب! دي محاولة لتوريطي! أنا كل اللي عملته إني طبقت القانون بعد طعن الاستئناف. أنا ماليش علاقة بموت زوجة المتهم ده!

يوسف بهدوء شديد،

يخفي الصراع الداخلي الذي يثيره صوت سيف في وعيه.

- يا سيادة المستشار... جابر مش بيتحرك بعشوائية ده بيحقق في قضيته وكأنه ضابط مباحث وقاضي وجلاد، في نفس الوقت ومش هاينفذ حكم على حد غير لو متأكد من اشتراكه في قتل مراته وكان سبب في موته،

هو مش بيطبق القانون اللي نعرفه، عشان كده الانكار مش هايفيد... أحنا عاوزين الحقيقة عشان نمنع جريمة محتملة.

لو حضرتك بريء، مفيش خوف هنمشي وأحنا مطمنين،

لو ما كنتش... ها يبقى تأمينك مسئولية سيادة العقيد حاتم وفريقه، وهاتكون مهمة صعبة جدا عليهم.

المستشار وهبة يرد بحدة مصطنعة.

- أنت بتقول إيه؟ أنت بتهددني؟ أنت بتتكلم بمنطق المجرمين!

فؤاد يتدخل محذراً

- يوسف بيحاول يساعد سيدتك!

القاتل اللي بنتكلم عنه ده مش مجرم عادي.

هو زي جهاز استشعار للذنب، ولو لقى حد مذنب.

صعب حد يمنعه ينفذ أحكامه

شعر يوسف بصوت يرتفع في داخل رأسه، وكأنه رغبة لا يمكن السيطرة عليها في كشف حقيقة وهبة.

كان الصوت الداخلي، يقول بتهكم

- اسأله يا يوسف، عن العدالة بتاعته، في القضية القديمة.

ارتفعت حرارة جسد يوسف، وزاد الطنين في أذنه اليسرى، أغمض عينيه بقوة، ومال برأسه. كان يرتعش من الداخل. يحارب للحفاظ على هدوئه.

يوسف يتمسك بحافة الطاولة، وكأنه يستمد منها الثبات، ويخرج السؤال الذي أمره به صوته الداخلي، بنبرة قاسية

- يا سيادة المستشار... في سنة 2014، كان فيه قضية تخص أرض في الساحل؟ ... اللي كان فيها تزوير وإجبار رجل أعمال على التنازل؟

تجمّد المستشار عادل وهبة في مكانه. تحول لونه للأصفر.

حاتم في حيرة.

- إيه علاقة الكلام ده بقضية جابر يا دكتور؟
وأنت جبت المعلومات دي منين أصلاً؟

يوسف وعيناه مثبتتان على وهبة.

- جابر فتح ملف أقدم من جريمة عايدة.
هو دلوقتي عاوز يجيب الخيط من أوله،
من أول واحد زرع بذرة الفساد اللي بسببه هاتحصل جريمة عايدة وجرايم غيراها. جابر قضيته بقت أكبر
قضيته بقت محاربة الظالم.

المستشار وهبة بصوت بالكاد يسمع.

- دي... دي قضاية مدنية، ما لهاش علاقة بالقتل.

يوسف بتحد.

- ليها علاقة يا سيادة المستشار!

لأنك بحكمك وقتها، مسئول عن اللي حصل بعد كده،

أنت فتحت الباب للظلم، وده كان تصريح دخول جابر.

المستشار وهبة يتحدث بعد عودة الثقة.

- أنا مش ها سمح بالتهريج ده.

أنا عندي حصانة...

وبطلب منكم توقفوا التحقيق السخيف ده فورا.

في تلك اللحظة، رن هاتف العقيد حاتم على نغمة طارئة. كان المتصل هو الرائد بهاء.

حاتم يرد بغضب، لكن صوته يرتفع فجأة بالصدمة

- إيه؟ إيه اللي حصل؟ ... فين؟ ... طب أنا جاي حالا.

أغلق حاتم الهاتف ونظر إلى يوسف وفؤاد.

في عينيه، لم يكن هناك ارتباك، بل إدراك مرعب. وبصوت يقطع الصمت

- فريد منصور... المحامي، لقوه مقتول في شقته، وبتوقيع جابر

المستشار وهبة يستدير، يصرخ بذعر

- فريد منصور؟! إيه علاقة فريد باللي بيحصل ده؟!

نظر يوسف إلى وهبة، ثم إلى حاتم، وقد أدرك أن جابر كان يمنحهم مهلة قصيرة جداً للحديث مع وهبة.

لكنه كان يمارس فيها أحدي العابه، مع شخص أضعف.

يوسف بحزم.

جابر بيصفي حساباته القديمة قبل ما يفتح الحساب الجديد. فريد كان آخر ضلع في قضية عايدة. دلوقتي... كل التركيز ها يكون على العقل المدبر... يلا بينا يا حاتم.

—✦—

باب مغلق وأعضاء مفقودة

في شقة فريد منصور بالزمالك كان مسرح الجريمة هادئاً بشكل غير طبيعي. فريد منصور لم يكن مقتولا بسكين أو رصاص.

لقد وجد في صالة المعيشة ممدداً على أريكته المفضلة، مرتديا ثياب النوم. نفس الأريكة حيث أعتاد أن يأخذ غفوته القصيرة

وصل حاتم ومعه يوسف وفؤاد إلى شقة فريد،

كان باب الشقة مغلقاً تماماً بلا كسر. فتحته الشرطة باستخدام مفتاح احتياطي. كان مع أبنه خالد

الضابط بهاء يتقدم بخطوات حذرة

الخبراء بيقولوا إن دي نفس الوضعية اللي مات فيها، الجثة ما تحركتش بعد القتل.

لكن الغريب إن مفيش أي دم على الأرض، ومفيش أي علامات مقاومة.

اقترب د. فؤاد يتفحصه بعين الطبيب،

كان فريد ميتا. عيناه مفتوحتان، لكنهما خاويتان، تم انتزاعهما باحتراف ووضع بدلا منهم قطعتان من النقود، جنيهان من الذهب

يوسف باستغراب

- مفيش علامات مقاومة... يعني كان متخدر أو مشلول زي نبيل بالظبط.

فؤاد يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يلاحظ التفاصيل.

- بص هنا... العلامة!

على جبهة فريد، كانت العلامة الزرقاء مرسومة بأناقة شديدة، كأنها وشم، حاتم يهمس بذهول

- هو بيستخدم نفس التوقيع.

لكن قتله إزاي؟ فين سلاح الجريمة.

نظر يوسف ببطء حول الأريكة، حيث كان فريد جالسا كان فريد مرتدياً ثيابه كاملة، لكن...

يوسف يشير إلى صدر فريد

- القتل من هنا يا دكتور.

يقترب د. فؤاد يدقق النظر، لم يكن صدر فريد مفتوحا كـ نبيل. بل كان هناك شق تم بدقة جراحية بين الضلوع وفوق منطقة القلب، تكشف عن أن الجلد تم شقة دون أن ينزف، أي بعد الموت؟

فؤاد يقترب بحذر، هناك أثر أزرق في وريدة،

لا ليست العلامة، ولكن كدمة من أثر محقن أستخدم لتصفية الجسم من الدم، وهناك شق رفيع غائر في رقبته، فتح فمه يتأكد. حينها لم يعد هناك مجالا للشك.

د. فؤاد يصرح بتفسيره، بعد أن بنى تصور كامل لكيفية القتل.

- فريد تم تصفية دمه وهو حي، مات بهبوط حاد في الدورة الدموية بعد نزف مستمر.

أشار إلى الجرح الغائر في رقبته، وأكمل تحليله.

- تقريبا الجاني كان معاه جهاز بيسعده على كده، بعد تأكد الجاني من الموت، أنتزع عينيه وقلبه ولسانه اللي عمل كده أكيد طبيب، لكن بطقس انتقامي قديم،

في بصمتين مختلفتين في التنفيذ، جابر بقى معاه شريك بيعلن عن وجوده، شريك، له تجارب من عالم أخر

حاتم بعصبية.

- مين البني آدم اللي قتله يا بهاء، مين الأداة المرة دي؟

تقدم الرائد بهاء وقال المفاجأة المدوية.

- وأحنا بنكمل التحقيقات مع دكتور طارق، أعترف بقتل فريد منصور المحامي، قبل ما يرجع المصلحة ويقتل نبيل، وكمان قلنا على مكان أكياس الدم والأعضاء اللي أنتزعها

من فريد، خدهم معاه من هنا وكان شايلهم في ثلاجة في قسم الأدلة. داخل مصلحة الطب الشرعي.

تتسع عيني دكتور فؤاد ويقول بصدمة.

- ده ما بقاش مجرد انتقام... ده قصاص رمزي وجراحي.

نظر يوسف مرة أخرى إلى جبهة فريد، حيث العلامة الزرقاء.

أدرك أن جابر الآن يتقمص دور المنتقم الذي يأخذ من الظالم الشيء الذي استخدمه في ظلمه. يا لها من فلسفة وجودية.

—✦—

يحيا العدل

قبل أيام كانت السماء تمطر بغزارة، ومن فوق كوبري أكتوبر في الطريق إلى مدينة نصر. كان يجلس في المقعد الخلفي للسيارة الفخمة، يضع يده بجانب رأسه يتأمل الطريق وبصوت متعب تحدث رامي أنور

- الدنيا بتمطر، كأنها بتغسل البلد من القذارة.

جائه الرد من السائق بنبرة غريبة، هادئة لكنها عميقة، وبصوتا لم يكن صوته.

- القذارة مش في الشوارع يا رامي بيه. القذارة جوه قلوب الناس، وفي ضميرهم.

رفع رامي رأسه ببطء، ونظر إلى السائق في مرآة الرؤية الخلفية.

- صوتك غريب، أنت مش السواق الـ ...
- أنا مش سواق يا رامي بيه، أنا واحد من جمهورك.

  شفتك في المحكمة وصدقتك،

  عينيك كانت بتلمع بنور الحقيقة... كنت شايف قلبك النضيف... وضميرك الحي، صوتك كان أخر صوت أسمعه يتكلم عن العدل.

ساعتها حسيت بأمل، وسألت نفسي هو ممكن يكون في عدل على الأرض؟

بعد المداولة، شفت عينيك كويس كأن نورهم أطفى، بعديها نطقت عليا بالمؤبد، الحكم الظالم بتاعك.

شعر رامي ببرودة مفاجئة رغم دفء السيارة.

بدأ يتذكر كل شيء. تأكدت لديه الشائعات التي يتداولها الوسط بعد التهديدات التي وصلت للمستشار عادل وهبة،

إذا هي ليست شائعات، فجابر المنتقم، حقيقة بين يديه الآن.

لم يشعر بالقلق أو الخوف، ربما لأنه كان يتمنى لقاءه، ليعتذر.

- أنا... أنا كنت متعاطف معاك... يا جابر.

كنت حاسس بتلفيق الأدلة والدوافع، كانت شايف الكذب في عيون سهام الشاهدة.

أنا حاولت أقدم تقرير... حكم مخفف قبل...

بس المستشار عادل وهبة...

السائق يميل برأسه قليلا

- التعاطف اللي بينطق بالحكم ده... بيكون عين ظلم يا رامي. أنت كنت مصدقني. وكنت شايف الحقيقة.

تجمد رامي. كان صدى صوت جابر الأصلي يتردد في أذنه. نظر إلى السائق، ورأى في عينيه انعكاس لمعة زرقاء خفيفة. لم يكن يراه السائق. كان يراه شبح المنتقم.

رامي يهمس، وقد انهار دفاعه

- أنا آسف. أنا آسف يا جابر... وهبة هددني لو ما نطقتش بالحكم اللي هو عايزه... أنا لسه في أول طريقي وكان عندي طموح أكون....

أنا غلط... أنا بقيت مجرد أداة... يمكن دي فرصة ليا، عشان أعتذر عن ذنب تقيل عليا، يمكن أنت ها تريحني من الحمل ده.

صوت جابر يعود لهدوئه المخيف.

- الأدوات مش لازم تتكسر يا رامي.

أنت تقدر تكفر عن ذنبك.

رامي في يأس

- أعمل إيه؟ ... أقتل وهبة؟ أنا ما قدرش... أنا راجل قانون
- القتل مش هو الحكم النهائي. الحكم النهائي هو إسقاط القناع. أنت تقدر تسقط المستشار وهبة بنفس اللسان اللي

استخدمه عشان ينطق بالظلم. تقدر تحكم ببراءة جابر بنفس اللسان اللي حكم عليه بالمؤبد.

صمت رامي طويلاً، والأمطار تهطل بغزارة بصوت خافت، بعد تفكير ينطق لسانه بالحيرة.

- لكن أنا ما عنديش دليل، من غير دليل كل ادعائي هيكون مجرد كلام في الهوا

أشار السائق إلى ملف أسود بجواره، وقال بهدوء

- الملف ده أنا جبته من بيت فريد منصور المحامي، هاتلاقي فيه مستندات لقضايا فساد كتير، عشرات القضايا، عادل وهبة كان ضلع في اغلبها.
كمان هاتلاقي دليل براءتي، الملف هايفيدك...
ده لو أنت فعلا عاوز تتغير.

- أنا موافق يا جابر. هاعمل اللي تقوله. هافضح عادل وهبة، وهاقدم استقالتي... المهم إن روحي... تطهر من الإحساس بالظلم ده.

يبتسم السائق، ابتسامة رضا تتسع على وجهه

- دلوقتي أنت حر يا رامي. ميزانك... اتعدل من جديد.

— ✦ —

الميزان المعكوس

كانت قاعة المحكمة الرئيسية، لا تزال مزدحمة بعد انعقاد الجلسة الصباحية.

صامتة إلا من صرير قلم كاتب الجلسة.

دخل القاضي **رامي أنور** وضع أمامه ملف أسود كبير، يحمل رقم قضية، ويحتوي على وثائق مزورة وأدلة دامغة تفضح سيادة المستشار في قضية أرض الساحل وعشرات القضايا الأخرى، مرفقة بنسخ من التقارير الأصلية. ومحاضر التحريات.

جلس في منصته العالية، يرتدي ثوب القضاء الأسود وعلى كتفة نفس الوشاح الأخضر المرصع بالنسر الذهبي والنجوم.

كان يبدو هادئاً بشكل مرعب، لكن عينيه كانتا تلمعان بلمعة زرقاء خافتة، لم يلاحظها أحد. كان **صوت جابر** يرن في أذنه، في داخله وكأنه قد أصبح هو صوته الجديد.

رفع رامي رأسه، ولم ينظر إلى جدول القضايا المعتاد. كان المستشار **عادل وهبة** الذي حضر لمتابعة سير قضايا أخرى. جالساً في الصف الأمامي للمنصة، ينظر إلى رامي بثقة.

القاضي رامي بصوت يقطع الصمت، نبرته ثابتة لكنها تحمل وزناً غريباً

- إيها السادة العدالة ليست مجرد نص قانوني نطبقه. بل هي وزن الكلمة. وزن الشهادة. عندما يقف القاضي أمام هذا الميزان، لا يجب أن يسأل نفسه ماذا سأقول؟ بل ماذا يجب على أن أقول لأكون مرتاح الضمير؟

بدأ رامي في إملاء القرارات بشكل غير مألوف، وكأنه يتحدث في محكمة تاريخية. لم يلتفت وهبة للأمر في البداية، حتى بدأ رامي في نطق الإدانة، يأمر كاتب الجلسة يقترب، يناوله الملف الأسود، طالبا أثباته في محضر الجلسة، ويأمره بكتابة ما يملى عليه ثم يبدأ في الحديث الذي لن يتوقف، إلا بنطق الحكم.

- أكتب يا أبني، وقد قام القاضي رامي أنور، بإحالة القضية رقم .... أكتب رقم القضية من الملف، إلى المحكمة الجنائية، وأتهم فيها كلا من،

تجمد الحضور، وبدأ المستشار وهبة يشعر بشيء ينكمش داخله.

يكمل رامي بصوت مرتفع، يعكس القوة

- **أولا**، رجل الأعمال **حسام غانم**، بصفته المدير العام لجمعية **... أكتب اسم الجمعية،**

ثانياً، السيد المستشار **عادل وهبة**، رئيس محكمة استئناف... ،

لارتكابهما في تاريخ سابق على 2017، بدائرة المحكمة، حيث الحيز المكاني لوقوع الجريمة...

نهض المستشار وهبة من مقعده فجأة، يصرخ بذعر.

ده تهريج يا رامي! اسكت! أنت بتتجاوز صلاحياتك!

أنت هاتودي نفسك في داهية.

يتجاهله رامي تماماً، يضرب بمطرقته الخشبية ثلاث دقات، تجبر الجميع على الصمت، يتابع الإملاء كأنه يتلو نصاً مقدسا ...

- قد قاما بتسهيل الاستيلاء على أراض مملوكة للدولة، وقد تبين من التحريات وجود علاقة صداقة وطيدة تجمع بين المتهم الأول رجل الأعمال، والمتهم الثاني رئيس المحكمة. وقد استولى المتهمان معاً بغير حق، وبنية التملك، على مال مملوك لإحدى الجهات العامة...

كان هذا الإعلان بمثابة زلزال في قاعة المحكمة. حاتم، الذي كان ينتظر خارج القاعة، لتأمين عادل وهبة، أسرع بالدخول مع فريقه. جابر نفذ وعده. بنفس اللسان... سيسقط الظالم. وسيحيا العدل

نظر القاضي رامي إلى وهبة، الذي كان يحاول الوصول إلى المنصة في حالة هستيرية.

ثم أخرج رامي من جيبه ورقة أخيرة مطوية بعناية ومكتوبة بخط يده، فضها ببطء قبل أن يطرق بمطرقته ثلاث مرات بقوة، ليس كمن ينطق حكما ولكن كمن يهدم معبد.

كان صوت المطرقة قادرا على أن يخرس الألسنة قبل النطق بالحكم النهائي.

وبصوت يعلو وكأنه يلتمس الحرية.

- وبناءً على ما تقدم... أعلن اعتذاري للضمير الذي خنته يوماً، بالحكم بالمؤبد، بناء على طلب سيادة المستشار عادل وهبة، بدعوى إرضاء الرأي العام،

وأعلن أمامكم الآن **براءة** جابر الأسيوطي من تهمة قتل زوجته،

- كما أتقدم باستقالتي الفورية من سلك القضاء، اعتراضاً على الظلم الواقع من ممثلي العدالة. لفرد من إبناء الشعب.

في اللحظة التي نطق فيها رامي بكلمة العدالة، انهار المستشار عادل وهبة جالسا على أرض القاعة، تحت المنصة.
واندفع حاتم وضباطه نحو المستشار يصرخ فيهم

- أمنوا سيادة المستشار عادل وهبة فوراً!

بينما كان القاضي رامي أنور، يرفع رأسه، يتنفس بقوة وكأنه أخيرا قد أستعاد حريته، ضم قبضته على المطرقة للمرة الأخيرة، نظر لها في يده وكأنه يودعها، وأعاد الطرق بها قبل أن يقول، رفعت الجلسة.

—✦—

لم يكن تأمين عادل وهبة بالشيء الصعب فبعد كلام القاضي رامي لم يعد لوهبة أهمية تذكر عند جابر بعد
هو ليس ندا ليعاقبه لن يفيد قتله يكفيه ما ناله من عقاب يليق به سحب الثقة من المتحدث باسم العدل أكبر في نظر جابر من قتله

—✦—

التطهير الأخير

كانت فيلا حسام غانم كقلعة مهجورة في ليلة مطيرة. سور عالٍ، بوابات حديدية، وكاميرات مراقبة عمياء، لا ترى ما لا يمكن رصده.

تحرك الظل، ليس ككيان مجرد، بل عبر جسد رشيق، خفيف الخطى، لا يرتدي معطفاً داكناً ولا قبعة تخفي ملامحه. فهو ليس بحاجة للتخفي، فالأصل في طبيعته الاختفاء.

كان المضيف الجديد الآن هو سيف، الكيان القديم الذي سكن يوسف. لم يكن سيف مجرد ظل ليوسف، بل وعياً كاملاً، كياناً بحد ذاته، لكنه اختار قديما أن يشارك يوسف جسده،

والآن في هذه الوقت بالذات أختار أن ينصهر مع جابر. أن يحمل عبء قضيته على عاتقه.

اخترق سيف الجدران والأقفال بخفة لص محترف، حتى وصل إلى عمق الفيلا. لم يوقفه أحد، لم يشعر به أحد.

كان حسام غانم في يجلس مكتبه.

تلك الغرفة الفارهة، ذات الإضاءة الخافتة، تفوح منها رائحة سيجار فاخر، ومال لي له أخر.

كان حسام يرتدي بيجامة حريرية، يجلس على كرسي مكتبه الجلدي الوثير، يقلب في أوراق وملفات، وابتسامة باردة لا تفارق شفتيه.

لم يشعر حسام بالبرودة التي اجتاحت الغرفة، لكنه شعر فجأة بالرياح الباردة تداعب شعره. التفت نحو مصدر البرودة.

كان هناك ضباب في ركن الغرفة يتشكل،

لم يستطع التحرك أو الكلام. كان يشعر بوجود شيء مختلف، شيء ثقيل يملأ الغرفة ويثقل الهواء.

ارتجفت الأوراق بين يدي حسام، وسقطت على الأرض.

مال بجسده يلتقطها وعندما استقام جسده مرة أخرى، رآه وقفا أمامه.

كان وهج أزرق داكن، يميل للرمادي، كجسد يتشكل من ضباب، بداخلة ومضات مضيئة كالبرق، وكأن هناك ناراً تشتعل في الأعماق.

نظر حسام نحوه برعب،

حاول أن يصرخ لكن شفتيه كانتا قد تجمدت. خرج الصوت من بين أسنانه

أنت مين؟ ... أنت دخلت هنا إزاي؟

لم يجيبه جابر. بل اهتز الهواء بقوة، وتحطمت زجاجة الخمر الفاخرة على المكتب.

بدأ الوهج الأزرق يتراقص في عيني حسام.

تقدم جابر نحوه بخطوات ثقيلة، بلا صوت.

ارتعش حسام، وحاول أن ينهض، لكن جسده كان مشلولاً، وكأن ألف يد تشده إلى كرسيه.

أنت مين؟ عاوز ايه؟

توقف سيف أمام حسام مباشرة. كان وجه جابر الغاضب يتشكل الآن بدلا من ملامح سيف، يظهر بوجهه لأول مرة من زمن.

ملامح غضبه تمنحه قوة وقسوة، لا تناسب مع جسد سيف الأزرق الضبابي. عيناه المتوهجتان، تشعان بغضب لا نهائي.

وخرج الصوت أخيراً. ليس بصوت سيف، ولكن بصوت جابر القديم، صوت عميق، جهوري، وكأنه يأتي من باطن الأرض، يمتزج بنبرة سيف الباردة المتهكمة.

جيت عشان أحكم... وعشان أتفرج عليك وأنت بتتحرق بالبطيء.

اتسعت عينا حسام برعب، وتجمدت الدماء في عروقه.

مين؟ جابر! مستحيل! أنت... أنت مت! أنت مجرد وهم!

توهجت عينا سيف بقوة أكبر، وكأن الغضب انفجر بداخلهما وتحولت، اصبح اللون الأسود يملؤو عينه بالكامل

تغيرت نبرة حسام، ولم يستطع التحكم بمثانته، كان بوله الآن يبلله ويغرق الأرض من تحته.

أنا هاصلح كل حاجة! أنا أقدر أديلك اللي أنت عايزه!

فلوس... أي حاجة!

أنا هاعترف... انا اللي رتبت كل حاجة!

أنا اللي دفعت فلوس للمحامي فريد عشان...!

قاطعه صوت جابر الغاضب

- أحنا مش في المحكمة... أن ما يهمنيش اعترافك...

أنا الموت يا حسام...

حسام كان يرتجف، والكلمات تخرج من فمه بصعوبة.

أنت متقدرش تقتلني، انا أملك القوة والنفوذ أنا...

ارتفع جسد جابر ببطء، وكأن سيف يمنحه قوة إضافية.

تغير صوت جابر الذي خرج من سيف، صار أكثر حدة، أكثر قسوة. ونبرة سيف الباردة أضافت للعقاب نكهة الشماتة.

دلوقتي... أنا هوريك يعني إيه تتمنى الموت وما بيجيش.

مد سيف يده التي تتوهج باللون الأزرق والأسود ببطء نحو رأس حسام. لم تكن لمسة قاصية في قوتها...

ولكن كانت لمسة قاضية في طاقتها،

لمسة وعي ممزوجة ببرودة سيف القاتلة.

بدأ حسام يصرخ، صرخات مكتومة، كأن الصوت يختنق في حلقه.

لاااا!... ابعد عني!

أنا... أنا بريء!

ضغط جابر بوعيه بالكامل.

توهجت عينا سيف الزرقاء للحظة خاطفة، ثم بدأ جسد حسام يرتجف بعنف.

توقفت الصرخات، وتجمدت ملامح وجه حسام،

على ملامح الرعب الأبدي.

لم يسقط حسام. جالس في كرسيه الوثير،

عيناه مفتوحتان، تحدقان في الفراغ.

لكن الروح غادرت.

لم تكن قد غادرت الجسد. بل غادرت الواقع.

عقل حسام غانم، الذي كان يوماً ما يرى العالم ملكه، يسيطر عليه، ويديره بخططه المتقنة.

أصبح الآن محبوساً في قاعة محكمة وهمية، محكمة بناها جابر وسيف داخل وعي حسام، لا يرى فيها سوى مطرقة القاضي تهوي بلا نهاية، وتصدر صوتاً واحداً فقط، يتكرر في عقله إلى الأبد ثلاث طرقات بمطرقة القاضي وصوت الحكم

حسام غانم مذنب.

نظر كلا من سيف وجابر إلى جسد حسام، الذي يرتجف مع كل طرق بالمطرقة، ونطق للحكم، في عقلة.

يلتفت حوله ويقول بيعنين شاخصتان ووجه باكي،

- أنا بريء

خرج صوت يعكس مزيجاً من جابر وسيف معاً

- العدالة يا حسام... هي أن اللي يكسر ميزان العدل... يدفع التمن من روحه.

تبدد الضباب واختفى جسد سيف في الظلام يحمل وعي جابر على عاتقه.

لم يكن اختفاء الكيان نهاية، بل انسحب إلى الظل.

ربما كان القصاص قد اكتمل. لكن الكيان الذي خرج من جابر الأسيوطي... لم يختف، لقد وجد دعما من خبرة وحكمة سيف وتحولوا معاً لكيان أكبر. إلى قانونا يبحث عن توازن مفقود

وميض أزرق

بعد أسبوع كامل من سقوط المستشار عادل وهبة وانهيار مملكته الزائفة، خيم هدوء حذر على مكتب الدكتور فؤاد الجبالي. كانت الإضاءة خافتة، تعطي للأرفف المكدسة بالكتب ظلالاً طويلة.

يوسف زهران مستلقٍ على مقعد الاسترخاء الجلدي، جسده ساكن، وملامحه هادئة، لكنه هدوء ما بعد العاصفة؛ هدوء الأرض المحروقة.

أغلق دكتور فؤاد الملف الذي أمامه بهدوء، وخلع نظارته الطبية وهو يفرك عينيه بإرهاق، ثم قال بنبرة تحمل مزيجاً من الراحة والحيرة.

- من الناحية العضوية... أنت زي الفل يا يوسف. جسمك نظيف تماماً، لا فيه أثر لكيمياء غريبة، ولا نشاط عصبي شاذ. كأنك ما شيلتش جواك كيان ولا عمرك عديت التجربة دي أصلاً.

لم ينظر يوسف إليه. كانت عيناه مثبتتين في الفراغ، يضيقهما قليلاً كأنه يحاول ضبط تردد موجة لا يراها غيره. رد بصوت خافت، كأنه يكلم نفسه

- الجسم عمره ما كان هو المشكلة يا دكتور... الوعي هو أول حاجة بتسلم الراية. المشكلة مش في "الضيف" اللي مشي... المشكلة في العلامة اللي سابها وراه.

قطب فؤاد جبينه وسأل باهتمام:

- علامة؟ تقصد الندبة النفسية؟ صدمة ما بعد التجربة يعني؟

رفع يوسف ساعده الأيسر ببطء في الهواء. كان الجلد طبيعياً، شاحباً، خالياً من أي خطوط زرقاء، لكن يوسف كان ينظر إليه وكأنه يرى شيئاً آخر.

- لا... مش ندبة نفسية. ده وميض... وميض أزرق بارد. حاسس بحاجة زي وميض نيون خافت جداً ورا عيني... مش بيختفي أبداً. كأنه... كأنه بصمة جابر، سابها ومشي.

اعتدل فؤاد في جلسته، وقد تسلل القلق إلى صوته.

- قصدك إن جابر لسه موجود؟ لسه جواك؟

هز يوسف رأسه ببطء، وعيناه لا تزالان معلقتين بيده.

- لا... جابر مشي خلاص. وسيف كمان مشي معاه.
- اللي فضل هو الأثر.

ميزان جديد اتزرع جوايا غصب عني. دلوقتي لما ببص في وش حد، أو أسمع كذبة، أو حتى ألمح ظل لظلم بيحصل... بحس بلسعة

برد غريبة بتضرب جوايا، والوميض الأزرق ده بينبض. بقيت حساس بيه بزيادة يا د. فؤاد... حساس لدرجة الرعب.

تنهد دكتور فؤاد، وحاول تغيير مسار الحديث ليخفف من وطأة الأمر.

- ده بالظبط اللي كان قالقني. جابر ورطك في وظيفة ما طلبتهاش. بس سيبك من الوميض دلوقتي... خلينا في الواقع.

- القصاص تم يا يوسف. وهبة وقع، والشبكة كلها فرطت ورا بعضها. مفيش غير الهدف الأخير... اللي جابر اختار له عقاب من نوع خاص جداً.

فتح يوسف عينيه، ونظر مباشرة إلى فؤاد. للحظة، خيل للطبيب أن هناك لمعة زرقاء ترتعش في عمق حدقتي يوسف.

- حسام غانم.

أومأ فؤاد برأسه

- أيوه... حسام. التقرير الرسمي بيقول انهيار عصبي حاد بعد فضيحة وهبة. لكن حاتم حكى لي اللي شافه... ودكاترة المصحة بيقولوا إنهم عمرهم ما شافوا حالة زي دي.

سأل يوسف بصوت بارد، خال من أي تعاطف.

- وشافوا إيه؟

أخذ فؤاد نفساً عميقاً قبل أن يجيب

- حسام غانم حي يرزق... قلبه بيدق، وجسمه سليم. لكنه في حالة عزل كامل عن الدنيا.

لا بيسمع، ولا بيشوف، ولا بيحس بحد.

- الدكاترة بيقولوا إن وعيه محبوس في دايرة مقفولة مبيخرجش منها. طول الوقت قاعد يهمس بكلمة واحدة بس... بيكررها آلاف المرات في اليوم.

رفع يوسف حاجبه بفضول هادئ

- كلمة إيه؟

- "المطرقة"... بيقول: "وقفوا المطرقة".

ارتسمت على وجه يوسف شبه ابتسامة، حزينة ومخيفة في آن واحد.

- المطرقة... مطرقة القاضي "رامي" اللي حكمت بالحق زمان.

- الحكم الوجودي اكتمل يا دكتور. حسام اتحبس جوه قاعة المحكمة اللي كان فاكر إنه يملكها.

جابر وفى بوعده... خلاه يتمنى الموت، وعمره ما هيطوله.

ساد صمت ثقيل في الغرفة، لا يقطعه سوى صوت بندول الساعة.

مسح فؤاد وجهه بكفيه، ثم قال بنبرة من يريد إغلاق الصفحة نهائياً.

- المهم إن الموضوع خلص يا يوسف. ده كان قصاص نهائي ووحشي، ومفيش قانون بشري يقدر يحاسب عليه. دلوقتي نقدر نرجع لحياتنا... نقدر نرتاح.

أغمض يوسف عينيه مرة أخرى، والوهج الأزرق يرقص خلف جفنيه، وهمس بصوت يحمل نذير شؤم

- لا يا د. فؤاد... لسه مخلصش.
- قصاص جابر هو اللي خلص. لكن الوميض اللي جوايا ده... عمال يوسع. أنا حاسس بحاجة تانية... حاجة مش غضب ولا انتقام... حاجة أشبه بـ القانون.

نهض فؤاد من كرسيه وتقدم خطوة نحو يوسف بقلق حقيقي.

- قصدك إيه؟ حاسس بإيه يا يوسف؟

فتح يوسف عينيه، وكانتا هذه المرة باردتين تماما.

- حاسس إن الخبطة اللي جابر ضربها للميزان كانت عنيفة قوي... عنيفة لدرجة إنها كسرته.

- ودلوقتي... فيه حاجة تانية بدأت تقرب... جاية تصلح الكسر ده. حاجة ما يهمهاش مين ظالم ومين مظلوم مش فارق معاها العدل والظلم بتاعنا... حاجة رافضة تدخل جابر، وكل همها إعادة التوازن.

ردد فؤاد خلفه الكلمة بعد تفكير عميق

- قوة التوازن؟ ... قصدك ده هيكون محور الاحداث اللي جاية؟

—✦—